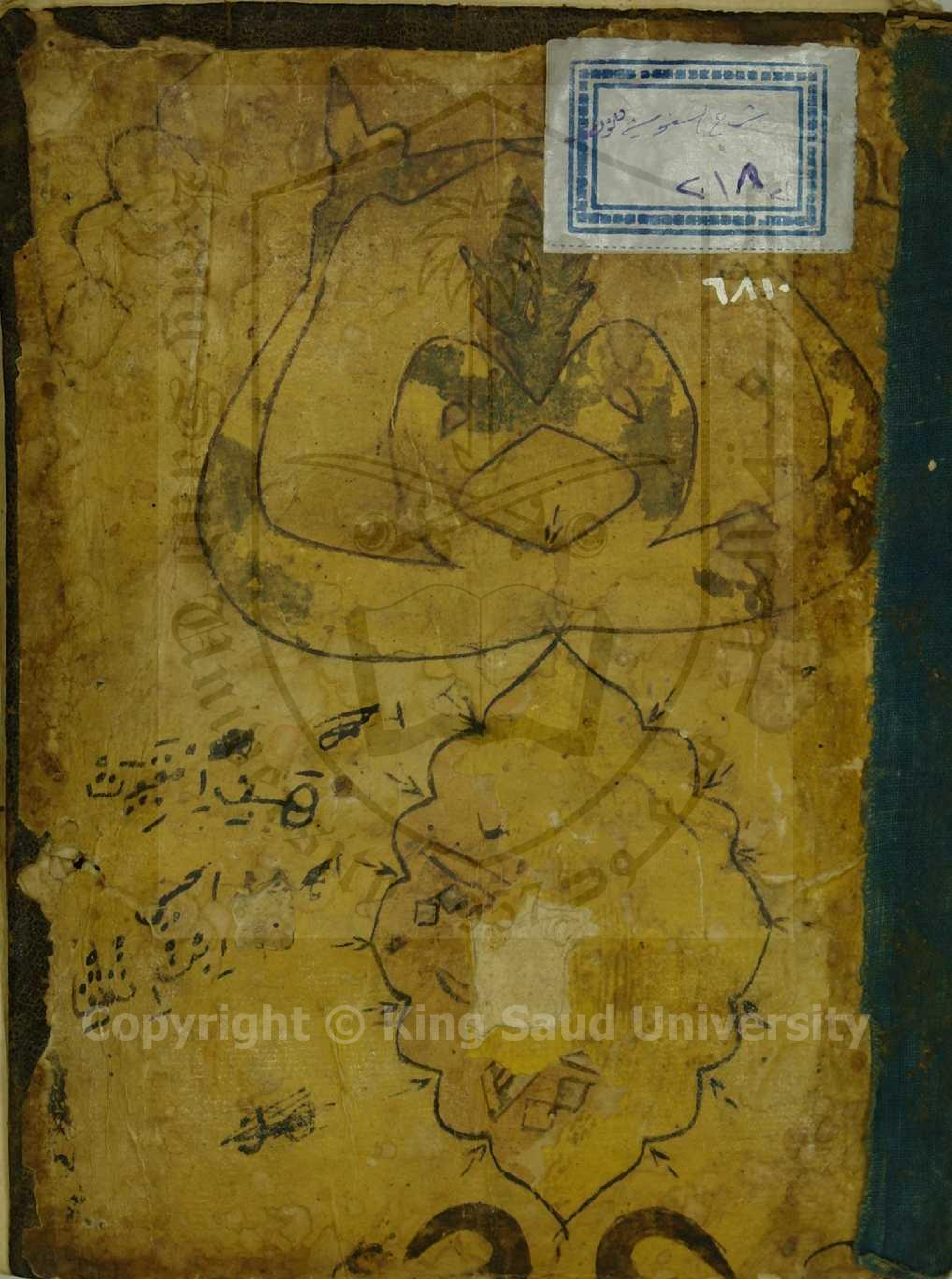



٦٨١٠
Copyright © King Saud University

شرح السنوسية ، كلاهما تأليف السنوسي، محمد بن يوسف
-٨٩٥هـ. كتب في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا.
٦٧ ق ٢٣ س ٢٢,٥×١٦سم
نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، طبع سنة ١٣٠٤هـ.
٦٨١٠ التيمورية ٤ : ٧٩ معجم المطبوعات ١ : ١٠٥٨
١- أصول الدين أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ
ج- شرح أم البراهين د- شرح السنوسي على عقيدة أم
البراهين.

كتاب شرح السنوسية
في فن التوحيد
للعلامة المصنف
قدس الله
سره
امين
م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الفقيه الولي الصالح ابو عبد الله محمد ابن يوسف
السنوسي الحسني المالكي عفا الله عنه بمنه وكرمه امين
الحمد لله الواسع الجود والعطا الذي يشهد بوجوب
وجوده ووحدانيته وعظيم جلاله وجوب افتقار
الكاينات كلها اليه في الارض والسماء العزيز الذي عز
ملكه من ان يكون له شريك في تدبير شيء ما تعالى
الله جل عن الشركاء الرحيم الرحمن الذي عمت نعمه العوالم
كلها فلا محلص لكاين عن تلك النعما الواسع الكريم
المنفرد بالايجاد فلا يستطاع شكر نعمه الا بما هو من
نعمه الجما الغني القدوس فلا وصول الى شيء من
فضله الا بمحض فضله تعالى ربنا وجل عن الاغراض وعن
الاعوان والوكلا والوزرا نحمده سبحانه على نعم لا
تحصى وحمدنا له عز وجل من اجل الالا ونشكره تبارك
وتعالى وهو الروف الرحيم الذي بسط بفضله
منقبض القلوب والالسنة والجوارح بما شا من جميل
الثنا ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة نشات عن محض اليقين فلا يطرق ساحتها
بفضل الله ضروب الشكوك والامترا ونشهد ان سيدنا
ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله شهادة
ندخرها بفضل الله تعالى وعونه لما قصم الظهور واذاب

الاكباد

الاكبا من اهوال الموت والقبر وما يتفاقم من المعضلات
في يوم البعث والجزا نحوزبها بفضل الله تعالى مع
الاباء والامهات والذرية والاخوة والاحبة في
اعالي الفردوس غاية السمو والارتقا والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم عين الوجود
وسر الكاينات وعروس المملكة ذي المفاخر التي جلت
عن العد والاحصا ذي المقام المحمود والحوض المورود
والوسيلة العظمى دنيا واخرى وملجا الخلايق كلهم واليه
يهرعون يوم تترادف الاهوال وتمتد ازمنتها حتى
يتبرا من الشفاعة ويهتم بانفسهم اكابر الرسل والانبيا
فصلى الله عليه وسلم من رسول انتهت اليه المحاسن والمفاخر
كلها مقاليدها فسمى على اعلى منصتها بحيث لا مطمع لمخلوق
على العموم في نيل تلك الرتبة العليا ورضي الله تعالى
عن اله وصحبه الذين طلعوا بعد غيبة شموس النبوة انجما
في سما العلى للارشاد والاهتدا وعن التابعين وتابعيهم
باحسان الى يوم الدين والفصل والقضا وبعد فاهم
ما يشتغل به العاقل اللبيب في هذا الزمان الصعب
ان يسعى فيما ينقذ به مهجته من الخلود في النار وليس
ذلك الا باتقان عقايد التوحيد على الوجه الذي قرره
ايمة اهل السنة العارفون الاخيار وما اندر من
اتقن ذلك في هذا الزمان الصعب الذي فاض فيه بحر

الجهالات وانتشر فيه الباطل اي انتشار ورمي في كل ناحية
من الارض بامواج ازكار الحق وبغض اهله وتزيين ٥
الباطل بالزخرف الغار وما اسعد اليوم من وفق ٥
لتحقيق عقايد ايمانه ثم عرف بعد ذلك ما يفطر اليه
من فروع دينه في ظاهره وباطنه حتى ابتهج سره بنور
الحق واستنار ثم اعتزل الناس الخلق ما طاق ما
عنهم سره الى ان ينتقل قريبا من بالموت عن فساد
هذه الدار طربا له بما يري اثر الموت من نعيم وسرور
لا يكيف ولا يدخل تحت ميزان الاعتبار والانظار
لقد صبر قليلا ففاز كثيرا فسبحان من يخص بفضله
من يشا من عباده بما شا ويقرب من يشا ويبعد من
يشا بمحض الاختيار ولقد الهم مولانا سبحانه وتعالى
بفضله وعظيم جوده في هذا الزمان الكثير الشر لما لا
نطيق شكره من معرفة عقايد الايمان وانزلها عز وجل
في صميم القلب بما يحتاج اليه من قواطع البرهان وعلم سبحانه
بمحض فضله واحسانه بزيادات قل من يعرفها اليوم ومن
ينبه عليها بالخصوص من الايمة الاعيان وارشد سبحانه
وتعالى بمحض كرمه لتحقيق امور قد ابتلي بالغفلة
فيها من لا يظن به ذلك ممن عرف بكثرة الحفظ والاتقان
اللهم كما انعمت يا ذا الجلال والاكرام فزدنا من فضلك
وتمم لنا ذلك بحسن الخاتمة والحلول اثر الموت في الاحبة

في دار الايمان ولا تجعلنا يا ارحم الراحمين من
المستدرجين بنعمتك وفضلك يا ذا الفضل والامتنان
فنكرم جلالك وعلو ذاتك ثم برحمتك المهداة الينا
محمد صلى الله عليه وسلم نعوذ بك من السلب بعد العطا ومن
غضبك الذي لا يطاق ومن ان تلحقنا باهل الخيبة
والحرمان وماجملة نعم مولانا العظيمة ومنحه الفايقة
الكريمة ان وفقنا بفضله سبحانه لوضع عقيدة صغيرة
الجرم كثيرة العلم محتوية على جميع عقايد التوحيد ثم تا
ييدها بالبراهين القطعية الغريبة لطالب لم تنظر
بمثلها ثم ختمناها باشرف المراتب ثم جعلنا من
المتقدمين ولا من المتاخرين وهو انا شرحنا كلمتي ٥
الشهادة التي لا غنى للمكلف عن معرفتها والى عذب ٥
موردها لتشتد عطش المتعطشين اذ بها تفتح ابواب
فضل الله تعالى والدخول في زمرة النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وبانتفاء معرفتها يسلم العبد
من افات الخلود في غضب الله تعالى ويتزين بفضل
الله تعالى الى اعلى عليين فذكرنا معناها اولا ثم بينا
وجه دخول جميع عقايد الايمان فيها بحيث يبتهج
عند ذلك بذكرها قلوب المتقين وينبسط على بواطنهم
وظواهرهم ما انطوى من محاسنها فاصبحوا يتبخترون
في حلل معارفها بين رياض الجنة مترددين فقد تكرر

ويرتنوجي

ايها المتعطش للدخول في دوحة اولياء الله تعالى خذها
لايعدل عنها بعد الاطلاع عليها والاحتياج اليها فيها
الا من هو من المحرومين اذ لا نظير لها فيما علمت وهي
بفضل الله تعالى تزهو بمحاسنها على كبار الدواوين
فتق ايها الحافظ لها ان فهمتها لغاية الامنية واشكر
الله سبحانه وتعالى اذ من عليك بنعمة عظيمة طرحتها كثير من
الخلق فباووا في اصول عقائدهم باعظم رزية واخلص
لي من دعائك اذا امزجتها من جوفي وحركت بها
يدي ولساني مولاي المنفرد بايجاد الكائنات كلها
والعالم بكل طوية وها انا امدك ثانيا بعون
الله تعالى بشرح لها مختصر يكمل لك منها المقصود
ويكشف لك ان شاء الله تعالى الغطاء عما انبهم
عليك منها من المعنى المسدود فتظفر ان شاء
الله تعالى بكيميا السعادة واكسير النجاة وتظل محييا
بها ان وفقك الله تعالى عمرات الايمان الى ان ينزل
بك عرض الممات وهذا اوان الشروع في هذا الشرح
المبارك بفضل الله تعالى الكريم الوهاب نسله
سبحانه ان يعيننا عليه ويوفقنا فيه لعين الصواب
بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله
ومن انتمى اليه وحاز بمشاهدته اعظم شرف من
ساداتنا الاصحاب الحمد لله والصلاة والسلام

عـ

على رسول الله الحمد هو الثناء على المحمود باللسان
بجميل صفاته سواء كانت من باب الاحسان
او من باب الكمال المختص بالمحمود كعلمه وشجاعته مثلا
وانما قلنا الثنا بالكلام عوضا عن قول بعضهم
باللسان ليشمل الحمد القديم والحادث والشكر
هو الثنا باللسان او بغيره من القلب وساير
الاركان على المنعم بسبب ما اسدى الى الشاكر من
النعم فبينه وبين الحمد عموم وخصوص من وجه
يعني ان الحمد اعم من الشكر بحسب المتعلق لانه
يتعلق بالكمال سواء كان احسانا او غيره والشكر
لا يتعلق الا بالاحسان والشكر اعم من الحمد بحسب
المحل لانه يكون باللسان وبالقلب وساير
الجوارح كما قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا اذا كان شكري
نعمة انعمه عليه في بعضها يجب الشكر والحمد
لا يكون الا باللسان والصلاة من الله على
رسوله صلى الله عليه وسلم زيادة تكرمة واحسان
وسلامة عليه زيادة تامين له وطيب تحية واعظام
احكام العقل المنحصرة في ثلاثة اقسام الوجوب
والاستحالة والجواز فالواجب ما لا يتصور
في العقل عدمه والمستحيل ما لا يتصور في

العقل وجوده والجائز ما يصح في
العقل وجوده وعدمه فصل

الحكم هو اثبات امر او نفيه والحاكم بذلك اما الشرع
او العادة او العقل فلهذا انقسم الحكم الى ثلاثة
اقسام شرعي وعادي وعقلي فالشرعي خطاب الله تعالى
المتعلق بافعال المكلفين بالطلب والاباحة والوضع
لهما فدخل في قولنا بالطلب اربعة الايجاب وهو طلب
الفعل طلبا جازما كالايمان بالله تعالى وبرسله
وكقواعد الاسلام الخمس والندب وهو طلب الفعل
طلبا غير جازم كسنة صلوة الفجر ونحوها والتحريم
وهو طلب الكف عن الفعل طلبا جازما كالشرك
والزنا ونحوهما والكراهة وهو طلب الكف عن الفعل
طلبا غير جازم كقرات القران مثلا في الركوع
والسجود واما الاباحة فهي التخيير بين الفعل والترك
كالنكاح والبيع ونحوهما واما الوضع لهما اي للطلب
والاباحة فهو عبارة عن نصب الشارع سببا او شرطا
او مانعا لما ذكر من الاحكام الخمسة الداخلة في كلا تحت
الطلب والاباحة فالسبب ما يلزم من عدمه العدم
ومن وجوده الوجود بالنظر الى ذاته كالزوال مثلا
فان الشارع وضعه سببا لوجوب الظهر فيلزم من
من وجوده وجوب الظهر ومن عدمه عدم وجوبها

واما

وانما قلنا بالنظر الى ذاته لانه قد لا يلزم من وجود السبب
وجود المسبب لعروض مانع او تخلف شرط وذلك لا يقدح
في تسميته سببا لانه لو نظر الى ذاته مع قطع النظر عن موجب
التخلف لكان وجوده مقتضيا لوجوب المسبب واما الشرط
فهو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود
ولا عدم لذاته ومثاله الحول بالنسبة الى وجوب
الزكاة في العين والماشية فانه يلزم من عدم تمام
الحول عدم وجوب الزكاة فيما ذكر ولا يلزم من وجود
تمام الحول وجوب الزكاة ولا عدم وجوبها لتوقف وجوب
الزكاة على ملك النصاب ملكا كاملا واما المانع لغة فهو
الحايل وشرعا فهو ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم
من عدمه وجود ولا عدم لذاته مثال الحيض فانه يلزم
من وجوده عدم وجوب الصلاة ولا يلزم من عدمه
وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها لتوقف وجوبها على
اسباب اخر قد تحصل عند عدم الحيض وقد لا تحصل
فتخرج من هذا ان السبب يؤثر بطرفيه اعني طرفي
وجوده وعدمه والشرط يؤثر بطرف عدمه فقط
في العدم فقط والمانع يؤثر بطرف وجوده فقط في
العدم فقط ومحل استقصاء ما يتعلق بمباحث الحكم الشرعي
فن الاصول واما الحكم العادي فحقيقته اثبات الربط
بين امر وامر وجودا او عدما بواسطة تكرار الاقتران

بينهما على الحس مثال ذلك الحكم على النار بانها
محرقة فهذا حكم عادي اذ معناه ان الاحراق يقترن
بمس النار في كثير من الاجسام لمشاهدة تكرر ذلك
على الحس وليس معنى هذا الحكم ان النار هي التي
اثرت في احراق ما مسته او في تسخينه اذ هذا المعنى
لا دلالة للعادة عليه اصلا وانما غاية ما دلت عليه
العادة الاقتران فقط بين الامرين اما تعيين فاعل
ذلك فليس للعادة فيه مدخل ولا منها يتلقى علم
ذلك وقس على هذا سائر الاحكام العادية ككون
الطعام مشبعا والماء مرويا والشمس مضية والسكين
قاطعة والبحر مغرقا وغير ذلك مما لا ينحصر وانما
يتلقى العلم بفاعل هذه الاثار المقارنة لهذه
الاشياء من دليل العقل والنقل وقد اطبق العقل
والشرع على انفراد المولى جل وعز باختراع جميع
الكائنات عموما وانه لا اثر لكل ما سواه تعالى
في اثر ما جملة وتفصيلا وقد غلط قوم في تلك
الاحكام العادية فجعلوها عقلية واسندوا
وجود كل اثر منها لما جرت العادة انه يوجد معه اما
بطبعه واما بقوة اودعت فيه فاصحوا تيار اهوس
ذميم وبدعة شنيعة في اصول العقائد وشرك عظيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فنسأله سبحانه

النجاه

النجاه الموور الى الممات من مضلات الفتن ظاهرا
وباطنا على سنن بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم **واما الحكم العقلي**
فهو عبارة عما يدرك العقل ثبوته او نفيه من غير
توقف على تكرار قران ولا وضع واضع وهذا الثالث
هو الذي تعرضنا له في اصل العقيدة بقولنا الحكم
العقلي احترازا من الشرعي والعادي وقد عرفت
معناهما قوله ينحصر في ثلاثة اقسام يعني من
ذات او صفات وجودية او سلبية او احوال قديمة
او حادثة كل ما يتصور في العقل اي يدركه الثلاثة
لا يخلو من هذه الاقسام اي لا بد له ان يتصف
بواحد منها اما بالوجوب او بالجواز او بالاستحالة
قوله فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه يعني
ان الواجب العقلي هو الامر الذي لا يدرك العقل
عدمه يعني اما ابتدا بلا احتياج الى سبق نظر ويسمى
الضروري كالتحيز مثلا للجرم فان العقل ابتدا
لا يدرك انفكاك الجرم عن التحيز اي اخذه
قدرا من الفراغ **واما** بعد سبق النظر ويسمى
نظريا كالقدم لمولانا جل وعز فان العقل انما
يدرك وجوبه لله تعالى اذا تفكر وعرف ما يترتب

على ثبوت الحدوث له جل وعز من الدور والتسلسل
الواضح الاستحالة فقد عرفت بهذا انقسام الواجب
الى ضروري ونظري **قوله والمستحيل** ما لا يتصور في
العقل وجوده يعني اما ابتداء ايضا او بعد سبق نظر
فمثال الاول عرو الجرم عن الحركة والسكون اي تجرده
عنهما معا بحيث لا يوجد فيه واحد منهما فان العقل ابتدا
لا يتصور ثبوت هذا المعنى للجرم ومثال الثاني كون
الذات العلية جرما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
فان استحالة هذا المعنى عليه جل وعز انما يدركه
العقل بعد ان يسبق له النظر فيما يترتب على ذلك
من المستحيل وهو الجمع بين النقيضين وذلك انه قد
وجب لمولانا جل وعز القدم والبقا لئلا يلزم الدور
او التسلسل لو كان تعالى حادثا فلو كان تعالى جرما
لوجب له الحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لما
تقرر من وجوب الحدوث لكل جرم فلزم اذا ان لو
كان تعالى جرما ان يكون واجب القدم لالوهيته
وواجب الحدوث لجرميته تعالى عن ذلك وذلك جمع
بين النقيضين لا محالة فقد عرفت ايضا بهذا
انقسام المستحيل الى ضروري ونظري **قوله** والجائز
ما يصح في العقل وجوده وعدمه يعني ايضا اما ضروريا

وامّا

واما بعد سبق نظر مثال الاول اتصاف الجرم بخصوص الحركة
مثلا فان العقل يدرك ابتداء صحة وجودها للجرم وصحة
عدمها له ومثال الثاني تعذيب المطيع الذي لم يعص الله
قط طرفة عين فان العقل انما يحكم بجواز هذا التعذيب
في حقه بعد ان ينظر في برهان الوحدانية ويعرف ان
الافعال كلها مخلوقة لمولانا جل وعز لا اثر لكل ما سواه تعالى
في اثر ما البتة فيلزم من ذلك استواء الايمان والكفر
والطاعة والمعصية عقلا وان كل واحد من هذه يصلح
ان يجعل امارة على ما جعل الاخر امارة عليه والظلم
على مولانا جل وعز مستحيل كيف ما فعل او حكم اذ الظلم
هو التصرف على خلاف الامر ومولانا جل وعز
هو الامر الناهي المبيح فلا امر ولا نهي يتوجه اليه تعالى
من سواه اذ كل ما سواه جل وعلا ملك له لا يبدي
شيئا ولا يعيد ولا انزله في شيء البتة ولا شريك
له تعالى في ملكه ولا يسال عما يفعل جل وعز فصح اذا ان
يدرك العقل لكل من المومن والكافر والمطيع
والعاصي صحة وجود الثواب والعقاب او عدمهما
واختصاص كل واحد منهما بما اختص به من ذلك انما هو
بمحض اختيار مولانا جل وعز لا لسبب عقلي اقتضى ذلك لكن
ادراك العقل لجواز هذا المعنى موقوف على تحقيق النظر
الذي قدمنا فبان لك بهذا ان الجائز منقسم الى الضروري

والي نظري كما انقسم القسمان اللذان قبله واتضح بهذا ان
الاقسام الثلثة قد تفرعت الي ستة اقسام من ضرب اثنين
في ثلاثة اذ كل قسم منها فيه قسمان وانما قيدنا الصحة
بالعقل في حق الجائز فقولنا فيه ما يصح بالعقل ليدخل فيه
نحو جواز العذاب في حق المطيع فان العقل هو الحاكم بصحة
وجود العذاب وعدمه في حقه بمعني انه لو وقع كل منهما لم
يلزم من وقوعه نقص في حقه تعالي ولا محال البتة اما ما
الشرع فقد بين ان الله تعالي قد اختار بمحض فضله للمومن
المطيع احد الامرين الجائزين في حقه وهو الثواب والنعيم
المقيم كما اختار تعالي بعدله للكافر الجائز الاخر وهو النار
والعذاب الاليم واعلم ان الحركة والسكون للجرم يصح ان
يمثل بهما لاقسام الحكم العقلي الثلاثة فالواجب العقلي
ثبوت احدهما لا بعينه للجرم والمستحيل نفيهما معا عن
الجرم والجائز ثبوت احدهما بالخصوص للجرم واعلم ان معرفة
هذه الاقسام الثلاثة وتكريرها تانيسا للقلب بامثلتها
حتى لا يحتاج الفكر في استحضار معانيها الي كلفة اصلا
مما هو ضروري علي كل عاقل يريد ان يفوز بمعرفة الله
تعالي ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام بل قد
قال امام الحرمين وجماعة من ان معرفة هذه الاقسام
الثلثة هي نفس العقل فمن لم يعرف معانيها فليس بعاقل
وبالله تعالي التوفيق ويجب علي مكلف شرعا

ان يعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز وما
يستحيل وما يجوز وكذا يجب عليه ان يعرف مثل
ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام
يعني انه يجب شرعا علي كل مكلف وهو البالغ العاقل
ان يعرف ما ذكر لان بمعرفة ذلك يكون مومنا محققا
لايمانه علي بصيرة في دينه وانما قال يعرف ولم يقل يجزم
اشارة الي ان المطلوب في عقايد الايمان المعرفة وهي
الجزم المطابق عن دليل [illegible] واحترز بقوله الجزم عن الظن
والشك والوهم فلا يكفي في العقايد بالاجماع واحترز بقوله
المطابق اي للحق الموافق لما في نفس الامر من الجزم غير المطابق
للحق كالجزم بالكفريات علي سبيل التقليد لائمة الكفر واحترز
بقوله عن دليل من الجزم المطابق للحق الناشي عن غير دليل كما
يكون فيها للتقليد وهو الجزم المطابق في عقايد الايمان بلا
دليل والي وجوب المعرفة وعدم الاكتفا بالتقليد ذهب جمهور
اهل العلم كالشيخ ابي الحسن الاشعري والقاضي ابي بكر
الباقلاني وامام الحرمين وحكا ابن القصار عن مالك
ايضا ثم اختلف جمهور القايلين بوجوب المعرفة فقال
بعضهم المقلد مومن الا انه عاص بترك المعرفة التي ينتجها
النظر الصحيح وقال بعضهم انه مومن ولا يعصي الا اذا
كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم المقلد
ليس بمومن اصلا وقد انكر بعضهم ولامام الحرمين في

في التامل تقسيم المكلفين الي اربعة اقسام فمن عاش
بعد البلوغ زمانا يسع فيه النظر فنظر لم يختلف
في صحة ايمانه وان لم ينظر لم يختلف في عدم صحة
ايمانه ومن عاش بعده زمانا لا يسع فيه النظر وشغل
ذلك الزمان اليسير بما يقدر عليه فيه من بعض
النظر لم يختلف في صحة ايمانه وان اعرض عن استعمال
فكره فيما يسعه ذلك الزمان اليسير من النظر ففي
صحة ايمانه قولان والاصح عدم الصحة قلت ولعل
هذا التقسيم انما هو فيمن لا جزم معه في عقايد
الايمان اصلا ولو بالتقليد وذهب غير الجمهور الي
ان النظر ليس بشرط في صحة الايمان بل وليس بواجب
اصلا وانما هو من شروط الكمال فقط وقد
اختار هذا القول الشيخ العارف الولي بن ابي جمرة
والامام ابو حامد الغزالي والقشيري وابن
رشد وجماعة والحق الذي يدل عليه الكتاب
والسنة وجوب النظر الصحيح مع التردد في كونه
شرطا في صحة الايمان اولي وقد عزي ابن العربي
القول بانه تعالى يعلم بالتقليد الي المبتدعة
ونصه في كتابه المتوسط في الاعتقاد اعلموا
علمكم الله ان هذا العلم المكلف به لا يحصل
ضرورة ولا الهاما ولا يصح التقليد فيه ولا يجوز

ان يكون

ان يكون الخبر طريقا اليه وانما الطريق اليه النظر
ورسمه انه الفكر المرتب في النفس على طريق يفضي
الي العلم يطلب به من قام به علما في المعلومات او غلبة
ظن في المظنونات ولو كان هذا العلم يحصل ضرورة
لادرك ذلك جميع العقلاء او الهاما لوضع الله تعالي
ذلك في قلب كل حي ليتحقق بدا التكليف وايضا
فان الالهام نوع ضرورة وقد ابطلنا الضرورة فلا
يصح ان يقال انه يعلم بالتقليد كما قالت جماعة من
المبتدعة لانه لو عرف بالتقليد لما كان قول واحد
من المقلدين اولي بالاتباع والانقياد اليه من الاخر
واقوالهم متضادة ومتخالفة ولا يجوز ايضا ان
يقال انه يعلم بالخبر لان من لم يعلمه تعالى كيف يعلم
ان الخبر خبره فثبت ان طريقه النظر وهو اول واجب
على المكلف اذ المعرفة اول الواجبات ولا تحصل الا به
فبضرورة تقديمه عليها ثبت له صفة الوجوب قبلها
وايجاد معرفة بالله معلوم من دين الامة بالضرورة
فصل ومع انا نقول ان المعرفة واجبة وان النظر
الموصل اليها واجب فان بعض اصحابنا يقول ان من
اعتقد في ربه تعالى الحق وتعلق به اعتقاده على الوجه
الصحيح في صفاته فانه مومن موحد ولكن هذا لا
يحصل يصح في الاغلب الا للناظر ولو حصل لغير ناظر

لم يامن ان يتخلخل اعتقاده فلا بد عند ناس ان يعلم
كل مسالة من مسايل الاعتقاد بدليل واحد ولا ينفعه
اعتقاده الا ان يصدر عن دليل يعلمه بذلك فلو
اخترم وقد تعلق اعتقاده بالباري تعالي كما ينبغي
وعجز عن النظر قال جماعة منهم يكون مومنا وان تمكن
من النظر ولم ينظر قال الاستاذ ابو اسحق له
الاسفرايني يكون مومنا عاصيا بترك النظر
وبناه علي اصل شيخ ابي الحسن الاشعري فاما كونه
مومنا مع العجز والاصطلام فظاهر واما كونه مومنا مع
القدرة علي النظر وتركه فقول فيه نظر عندي لا اعلم
صحته الان فان قيل قد اوجبتم النظر قبل الايمان
علي ما استقر من كلامكم فاذا دعي المكلف الي المعرفة
فقال حتي انظر فانا اليوم في مهلة النظر ومدة
ترداده فماذا تقولونه اتلزمونه الاقرار بالايمان
فتنقضون اصلكم في ان النظر يجب قبلها ام تمهلونه
في النظر الي حد يتطاول به المدا فيه ام تقدرونه
بمقدار فتتحكمون فيه بغير نص الجواب انا نقول
اما القول بوجوب الايمان قبل المعرفة فضعيف
لان الزام التصديق بما لم تعلم صحته يودي
الي التسوية بين النبي والمتنبي فانه يومر له
ان لا فينظر فيتبين له الحق فيتمادي او يتبين

الباطل

٢٠

الباطل فيرجع وقد اعتقد الكفر واما اذا دعي له
المطلوب بالايمان الي النظر فيقال له ان كنت تعلم اولا
النظر فاسرده وان كنت لا تعلمه فاسمعه ويسرد
في ساعته عليه فان آمن تحقق استرشاده وان
ابا تبين عناده فوجب استخراجه منه بالسيف
او يضرب حتي يموت وان كان ممن تاخذ اهل الاسلام
وعلم طريق الايمان لم يمهل ساعة او لا تري ان
المرتد استحب العلما فيه الامهال لعله انما ارتد
لريب فيتربص به مدة لعله او يراجع الشك باليقين
والجهل بالعلم ولا يجب ذلك لحصول العلم الا بالنظر
الصحيح اولا وكيف يصح لقايل ان يقول ان الايمان
يجب اولا قبل النظر ولا يصح في المعقول ايمان
بغير معلوم وذلك الذي يجده المرء في نفسه حسن
ظن بمخبره والا فان تطرق اليه التجويز او التكذيب
تطرق وايضا فان النبي صلي الله عليه وسلم دعا
الخلق الي النظر اولا فلما قامت الحجة به وبلغ غاية
الاعذار فيه حملهم علي الايمان بالسيف او لا تري
ان كل من دعا الي الايمان قال له اعرض علي اية
فيعرضها عليه فتظهر له فيومن فيامن او يعاند فيهلك
انتهي قلت هذا كلام ابن العربي وهو حسن وقد
استشكل القول بان المقلد ليس بمومن لانه يلزم

عليه تكفير اكثر اعوام المومنين المسلمين وهو معظم
هذه الامة وذلك مما يقدح فيما علم ان سيدنا
ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا
اتباعا وورجان امته المشرفة ثلثا اهل الجنة واجيب
بان المراد بالدليل الذي يجب معرفته على جميع المكلفين
هو الدليل الجلي الذي يحصل في الجملة للمكلف العلم
والمعرفة والطمانينة بعقايد الايمان بحيث لا يقول
قلبه فيها لا ادري سمعت الناس يقولون شيا
نقلته ولا يشترط فيه معرفة النظر على طريق المتكلمين
من تحرير الادلة وترتيبها ودفع الشبهة الواردة
عليها ولا القدرة على التعبير عما حصل في القلب من الدليل
الجلي الذي حصلت به الطمانينة ولا شك ان النظر على
هذا الوجه غير بعيد حصوله لمعظم هذه الامة او
لجميعها فيما قبل اخر الزمان الذي يرفع فيه العلم
النافع ويبث فيه الجهل المحض ولا يبقى فيه التقليد
المطابق فضلا عن المعرفة لكثير ممن يظن فيه العلم
فضلا عن كثير من العامة ولعلنا ادركنا هذا
الزمان بلا ريب والله المستعان ولا حول ولا قوة
الا بالله وفي حديث عن ابي امامة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون فتنة
يصبح الرجل فيها مومنا ويمسي كافرا الا من احياه

الله

11

الله بالعلم وفي رواية الا من احياه الله بالعلم وبالجملة
فالاحتياط في الامور هو احسن ما يسلكه العاقل في اموره
لا سيما في هذا الامر الذي هو راس المال وعليه مبنى
كل خير وكيف يرضى ذو همة ان يرتكب منه ما تتكدر
مشربه من التقليد المختلف فيه ويترك المعرفة والتعلم
للنظر الصحيح الذي يامن معه من كل مخوف ثم يلتحق
معه بدرجة العلما الداخلين في سلك قوله تعالى شهد
الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط
فلا يتقاصر عن هذه الرتبة المامونة الزكية الا ذو نفس
ساقطة وهمة خسيسة لكن على العاقل ان ينظر ولا
فيمن يحقق له هذا العلم ويختار للصحبة من الايمة
المويدين من الله تعالى بنور البصيرة الزاهدين بقلوبهم
في هذا العرض الحاضر المشفقين على المساكين الرؤفا على
الضعفا المومنين فمن وجد احدا على هذه الصفة في
هذا الزمان القليل الخير جدا فليشد يده عليه وليعلم
انه لا يجد له والله تعالى اعلم ثانيا في عصره اذ من
يكون على هذه الصفة او قريبا منها لا يكون منهم
في اخر الزمان الا الواحد وما يقرب منه على ما نص ا.ه
عليه العلما ثم الغالب عليه في هذا الزمان الخفا بحيث
لا يرشد اليه الا القليل من الناس فيشكر الله سبحانه
من اطلعه على هذه الغنيمة العظمى انا الليل واطراف النهار

اذا ظفر مولاه الكريم جل وعز بمحض فضله بكنز عظيم
من كنوز الجنة ينفق به منها ما شاء وكيف شاء وقل ان
ينفق اليوم وجود مثل هذا الا لمنادر من السعدا واما
ان يقرا هذا العلم على كل من يتعاطى التعرض له وليس
على الصفة التي ذكرناها ففاسد صحبة هذا دينا
واخرى اكثر من مصالحها وما اكثر وجود امثال هولاء
في زماننا في كل موضع نسال الله السلامة من شرور
انفسنا ومن شر كل ذي شر بجاه نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وليحذر المبتدي جهده ان ياخذ اصول دينه
من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة واولع مولفها
بنقل هوسهم وما هو كفر صراح من عقايدهم التي
ستر انجاسها بما يلبس به على كثير من اصطلاحاتهم
وعباراتهم التي اكثرها اسما بلا مسميات وذلك ككتب
الامام الفخر الرازي في علم الكلام وطوالع البيضاوي
ومن حذا حذوها في ذلك وقل ان يفلح من اولع بصحبة
كلام الفلاسفة ان يكون له نور ايمان في قلبه او لسانه
وكيف يفلح من والى من حارب الله ورسوله وخرق
حجاب الهيبة ونبذ الشريعة وراء ظهره وقال في حق
مولانا جل وعز وفي حق رسله عليهم الصلاة الصلاة
والسلام ما سولت له نفسه الحمقا ودعاه اليه وهمه المختل
ولقد خذل بعض الناس فتجده يشرف كلام الفلاسفة

الملعونين

الملعونين ويشرف الكتب التي تعرضت لنقل كثير منها فانه
لما تمكن في نفسه الامارة بالسوء من حب الرياسة
وحب الاعجاب على الناس بما يلبس به على كثير منهم من
عبارات واصطلاحات يوهمهم ان تحتها علوما
دقيقة نفيسة وهي ليس تحتها الا التخليط والهوس
والكفر الذي لا يرضى ان يقول عاقل وربما يؤثر
بعض الحمقا هوسهم على الاشتغال بما يعنيه من التفقه
في اصول الدين وفروعه على طريق السلف الصالح
والعمل بذلك ويرى هذا الخبيث لانطماس بصيرته
وطرده عن فضل الله تعالى الى باب غضبه ان
المشتغلين بالتفقه في دين الله تعالى العظيم
الفوايد دينا واخرى بلداء الطبع ناقصي الذكا فما
اجهل هذا الخبيث واقبح سريرته واعمى قلبه حتى جعل
الظلمة نورا والنور ظلمة ومن يرد الله فتنته فلن
تملك له من الله شيا اولئك الذين لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة
عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت نسال الله
سبحانه ان يعاملنا ويعامل جميع احبتنا الى الممات
بمحض فضله وان يلطف بنا وبجميع المومنين ويقيهم
في هذا الزمان الصعب موارد الفتن بجوده وكرمه
بجاه اشرف الخلق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

منهي الي الحضري

فما يجب لمولانا جل وعز عشرون صفة اه

اشار بمن التبعيضية الي ان صفات مولانا جل وعز الواجبة له لا تنحصر في هذه العشرين اذ كما لاته تعالي لانهاية لها لكن العجز عن معرفة ما لم ينصب عليه دليل عقلي ولا نقلي لا نواخذ به بفضل الله تعالي وهي الوجود معناه ظاهر وفي عد الوجود صفة علي مذهب الشيخ الاشعري تسامح لانه عنده عين الذات ليس بزايد عليها والذات ليس بصفة لكن لما كان الوجود توصف به الذات في اللفظ فيقال ذات مولانا جل وعز موجودة صح ان يعد صفة علي الجملة واما علي مذهب من جعل الوجود زايدا علي الذات كالامام الرازي فعده من الصفات صحيح لا تسامح فيه ومنهم من جعله زايدًا علي الذات في الحادث دون القديم وهو مذهب الفلاسفة والقدم الاصح ان القدم صفة سلبية ليست بمعني موجوده في نفسها كالعلم مثلا وانما هي عبارة عن سلب العدم السابق علي الوجود وان شيت قلت هو عبارة عن عدم الاولية للوجود وان شيت قلت هو عبارة عن عدم افتتاح الوجود والعبارات الثلاث بمعني واحد هذا معني القدم في حقه تعالي باعتبار ذاته العلية وصفاته الجلية السنية واما معناه اذا اطلقت في حق

الحادث

الحادث كما اذا قلت مثلا هذا بنا قديم وعرجون قديم فهو طول مدة وجوده وان كان حادثا مسبوقا بعدم والعدم كما في قوله تعالي انك لفي ضلالك القديم وقوله كالعرجون القديم فهذا المعني عليه الله تعالي محال لان وجوده جل وعز لا يتقيد بزمان ولا مكان لحدوث كل منهما فلا يتقيد بواحد منهما الا ما هو حادث وهل يجوز ان يتلفظ بلفظ القديم في حقه تعالي فيقال لجل وعز قديم لان معناه واجب له جل وعز عقلا ونقلا او لا يتلفظ بذلك وانما يقال يجب له تعالي القدم ونحو هذا من العبارات ولا يطلق عليه في اللفظ اسم القديم لان اسماه جل وعز توقيفيه هذا مما تردد فيه بعض المشايخ لكن قال العراقي في شرح اصول السبكي عده الحليمي في الاسما وقال لم يرد في الكتاب نص لكن ورد في السنة قال العراقي واشار بذلك الي رواه ابن ماجه في سننه من حديث ورد عن ابي هريرة رضي الله عنه وفيه عد القديم في التسعة والتسعين والبقا هو عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود وبعض الايمة يقولون معني البقا في حقه تعالي استمرار الوجود في المستقبل الي غير نهاية كما ان معني القدم في حقه استمرار الوجود في الماضي الي غير نهاية وكان

هذه العبارات يحتج قايلها الي ان القدم والبقا صفتان
نفسيتان لانهما عنده الوجود المستمر في الماضي والمستقبل
والوجود نفسي لعدم تحقق الذات بدونه وهذا
المذهب ضعيف لانهما لو كانا نفسيين لزم ان لا تعقل
الذات بدونهما وذلك باطل بدليل ان الذات يعقل
وجودها ثم يطلب البرهان علي وجوب قدمها وبقايها
وشذ قوم فقالوا ان القدم والبقا صفتان موجودتان
يقومان بالذات كالعلم والقدرة ولا يخفي ضعفه لانه
يلزم عليه ان يكون القدم والبقا قديمين ايضا بقدم
اخر وباقيين ببقاء اخر موجود ثم ننقل الكلام الي هذا
القدم الاخر وهذا البقاء الاخر فيلزم فيهما ما يلزم
في الاولين ويلزم التسلسل واضعف من هذا القول
قول من فرق وقال القدم سلبي والبقا وجودي
والحق الذي عليه المحققون انهما صفتان سلبيتان
اي كل منهما عبارة عن نفي معني لا يليق به تعالي
وليس لهما معني موجود في الخارج عن الذهن
ومخالفته تعالي للحوادث اي لا يماثله تعالي شيء
منها مطلقا لا في الذات ولا في الصفات ولا في الافعال
قال تعالي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فاول هذه
الاية تنزيه واخرها اثبات فصدرها يرد علي
المجسمة لعنهم الله واخزاهم وعجزها يرد علي المعطلة النافين

لجميع

١٤

لجميع الصفات وحكمة تقديم التنزيه في الاية وان كان
من باب السلب علي الاثبات وان كان الاولي في كثير من
المواطن العكس انه لو بدا بالسمع والبصر لاوهم التشبيه
اذ الذي يالفونه في السمع انه باذن وفي البصر انه بحدقة
وان كلا منهما انما يتعلق في الشاهد ببعض الموجودات
دون بعض وعلي صفة مخصوصة مع عدم البعد جدا
ونحو ذلك فبدا في الاية بالتنزيه ليستفاد منه نفي
التشبيه له تعالي مطلقا حتي في السمع والبصر الذين ذكرا
بعد فان سمعه تعالي وبصره ليسا كسمع الخلق وبصرهم لان
سمعه تعالي وبصره صفتان قايمتان بذاته العلية التي
يستحيل عليها الجرمية والجارحة ولوازمها واجبتا
القدم والبقا متعلقتان بكل موجود قديما كان
او حادثا ذاتا كان او صفة ظاهرا كان او باطنا
وقيامه تعالي بنفسه اي لا يفتقر الي محل ومخصص
يعني انه مما يجب له تعالي ان يقوم بنفسه اي بذاته و
معني قيامه تعالي بنفسه سلب افتقاره تعالي الي شيء
من الاشيا فلا يفتقر تعالي الي محل اي ذات سوي
ذاته تعالي يوجد فيها كما توجد الصفة في الموصوف
لان ذلك لا يكون الا للصفات وهو تعالي ذاته
موصوفة بالصفات وليس حالا عن صفة كما تدعيه
النصارى ومن في معناهم من الباطنية اهلكهم الله

جميعهم وسياتي برهان ذلك عند تعرضنا للبراهين
وكذلك لا يفتقر تعالى الى مخصص اي فاعل يخصصه
بالوجود لا في ذاته ولا في صفاته لوجوب القدم والبقا
لذاته تعالى ولجميع صفاته وانما يحتاج الى المخصص اي
الفاعل من يقبل العدم ومولانا جل وعز لا يقبله
فاذا يستحيل على مولانا جل وعز الافتقار عموما وبهذا
تعرف ان مرادنا بالمحل في العقيدة الذات ومرادنا
بالمخصص الفاعل فبعدم افتقاره تعالى الى محل
اي ذات اخرى لزم انه جل وعز ذات لا صفة وبعدم
افتقاره تعالى الى المخصص اي فاعل لزم ان ذاته
تعالى عز ليست كساير الذوات التي لا تفتقر هي ايضا
الى محل كالاجرام مثلا لان هذه وان كانت مستغنية عن
المحل اي عن ذوات تقوم بها قيام الصفة بالموصوف
فهي مفتقرة لتبادد واما افتقار اضطرارا لازما الى
المخصص اي الفاعل وهو مولانا جل وعز فاذا القيام
بالنفس هو عبارة عن الغنا المطلق وذلك لا يمكن ان
يكون الا لمولانا تبارك وتعالى قال جل من قايل
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني
الحميد وقال تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد فاثبت تعالى بقوله الله
الصمد افتقار كل ما سواه اليه جل وعز اذ الصمد هو الذي

يصمد

يصمد اليه في الخارج اي يقصد فيها ومنه تسال ولا شك
ان كل ما سواه تعالى صامد له اي مفتقر اليه ابتداءً
ودواما اما بلسان حاله او بلسان مقاله او بهما معا
واثبت بقوله تعالى لم يلد ولم يولد وجوب الغنا له
جل وعز عن المؤثر والاثر فلا حاجة لله تعالى الى
المؤثر ولا علة لوجوده جل وعز واليه الاشارة
بقوله تعالى ولم يولد اي لم يتولد وجوده عن شيء
اي لا سبب لوجوده تعالى لوجوب قدمه وبقايه وكذلك
لا حاجة له تعالى الى الاثر وهو ما اوجده تعالى من
الحوادث ولا غرض له جل وعز في شيء منها تعالى
عن الاعراض والاغراض ولا معين له تعالى في شيء
منها بل هو جل وعز فاعل بمحض الاختيار بلا واسطة
ولا معالجة ولا علة واليه الاشارة بقوله تعالى
لم يلد اي لم يتولد وجود شيء عن ذاته العلية
بان يكون بعضا منها او ناشئا عنه تعالى من غير
قصد اذ ناشئا عنه باستعانة ممن يزاوجه على ذلك
او لم غرض يحمله على ذلك كما هو شان الزوجين
ونحوهما بالنسبة الى الولد ونحوه في جميع ما ذكر اذ
لو كان تعالى كذلك لزم ان يماثل الحوادث كلها كيف وهو
تبارك وتعالى ليس له كفوا احد فلا والد اذ ولا
صاحبة ولا ولد ولا مماثلة بينه وبين الحوادث بوجه

تعالى صح

من الوجوه فتبارك الله رب العالمين **والوحدانية
اي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله**
يعني ان الوحدانية في حقه تعالي تشتمل علي ثلاثة اوجه
احدها نفي الكثرة في ذاته تعالي وتسمي الكم المتصل الثاني
نفي النظير له في ذاته تعالي جل وعز او صفة من صفاته
ويسمي الكم المنفصل الثالث انفراده تعالي بالايجاد
والتدبير العام بلا واسطة ولا معالجة فلا موثر سواه
تعالي في اثر ما عموما قال جل وعز من قايل انا كل شي
خلقناه بقدر وقال تعالي ذلكم الله ربكم لا اله الا هو
خالق كل شي فاعبدوه وقال جل وعز له ملك السموات
والارض وقال تبارك وتعالي والله خلقكم وما تعملون
**فهذه ست صفات الاولي نفسيه وهي الوجود
والخمسة بعدها سلبيه** حقيقة الصفة النفسيه هي
الحال الواجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة
كالتحيز مثلا للجرم فانه واجب للجرم ما دام الجرم وليس
ثبوته له معللا بعلة واحترز بقوله غير معلله بعلة من
الحال المعنوية ككون الذات عالمة وقادرة ومريدة
مثلا فانها معللة بقيام العلم والقدرة والارادة با
لذات واحترز ايضا من صفات المعاني كالعلم والقدرة
فليستا من الصفات النفسيه ولا من المعنويه لانهما ليستا
احوال والحال ليست بموجودة في نفسها ولا معدومة والعلم

والقدرة صفتان موجودتان في انفسهما قايمتان بموجود
فاذا عرفت هذا فاعلم ان الوجود انما يصح ان يكون
صفة نفسية عند من يجعله زايدا علي الذات واما من
يجعله نفس الذات فليس بصفة اصلا وقد سبق الا
عتذار عن عده من الصفات وبمثل ذلك يعتذر هنا
عن عده من الصفات النفسية اي معني الوجود
راجع للذات سوا قلنا انه عين الذات او زايد علي حقيقتها
لان الذات لا تثبت في الخارج عن الذهن الا ان تكون
موجودة قوله والخمسة بعدها سلبية يعني ان مدلول
كل واحد منها عدم امر لا يليق بمولانا جل وعز وليس
مدلولها صفة موجودة في نفسها كما في العلم والقدرة
ونحوها من ساير صفات المعاني الاتية فالقدم معناه
سلب وهو نفي سبق العدم علي الوجود وان شيت قلت
هو نفي الاولية للوجود والمعنى واحد والبقا هو نفي
لحوق العدم للوجود وان شيت قلت هو نفي الاخرية
للوجود والمخالفة للحوادث هي نفي المماثلة في الذات
والصفات والافعال والقيام بالنفس نفي افتقار الذات
العليه الي محل اي ذات اخري تقوم بها قيام الصفة
بالموصوف ونفي افتقاره تعالي الي مخصص اي فاعل
والوحدانية عدم الاثنينية في الذات العليه والصفات
والافعال وان شيت قلت هي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة

ونفي الشريك في الافعال عموما المعني واحد وبالله التوفيق

ثم يجب له تعالى سبع صفات تسمى صفات المعاني

مرادهم بصفات المعاني الصفات التي هي موجودة في نفسها سواء كانت حادثة كبياض الجرم مثلا وسواده او قديمة كعلمه تعالى وقدرته فكل صفة موجودة في نفسها فانها تسمى في الاصطلاح صفة معنى وان كانت الصفة غير موجودة في نفسها فان كانت واجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة سميت صفة نفسية او حالا نفسية ومثاله التحيز للجرم وكونه قابلا للاعراض مثلا وان كانت الصفات غير موجودة في نفسها الا انها معللة بانها تجب للذات ما دامت علتها قائمة بالذات سميت صفة معنوية ومثالها ككون الذات عالمة او قادرة مثلا

او حالا معنوية

وهي القدرة والارادة المتعلقان بجميع الممكنات يعني ان القدرة والارادة متعلقهما واحد وهو الممكنات دون الواجبات والمستحيلات الا ان جهة تعلقهما بالممكنات مختلفة فالقدرة صفة تؤثر في وجود الممكن او اعدامه على وفق الارادة والارادة صفة تؤثر في اختصاص احد طرفي الممكن من وجود او عدم او طول او قصر ونحوهما بالوقوع بدلا عن مقابله فصار

تأثير القدرة فرع

تأثير الارادة اذ لا يوجد مولانا جل وعز من الممكنات او يعدم بقدرته الا ما اراد الله تعالى وجوده او اعدامه

وتاثير

١٧

وتأثير الارادة عند اهل الحق على وفق العلم فكل ما علم الله تعالى انه يكون من الممكنات او لا يكون فذلك مراده جل وعز والمعتزلة قبحهم الله تعالى جعلوا تعلق الارادة تابعا للامر فلا يريد عندهم مولانا جل وعز الا ما امر به من الايمان والاحسان والطاعة سواء وقع ذلك ام لا فعندنا ايمان ابي جهل مامور به غير مراد له تعالى لانه جل وعز علم عدم وقوعه وكفر ابي جهل منهي عنه وهو واقع بارادة الله تعالى وقدرته وعند المعتزلة قبح الله تعالى رايهم ايمانه هو المراد لله تعالى لا كفره فلزمهم انه وقع نقص في ملك مولانا جل وعز اذ وقع في ملكه على قولهم ما لا يريده تعالى عن ذلك من له ملك السموات والارض وما بينهما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبالجملة فالمتعلقات عند اهل الحق ثلثة مرتبة تعلق القدرة وتعلق الارادة وتعلق العلم بالممكنات فالاول مرتب على الثاني والثاني مرتب على الثالث وانما لم تتعلق الارادة والقدرة بالواجب والمستحيل لان القدرة والارادة لما كانتا صفتين مؤثرتين ومن لازم الاثر ان يكون موجودا بعد عدم لزم ان ما لا يقبل العدم اصلا كالواجب لا يقبل ايضا ان يكون اثرا لهما والا لزم تحصيل الحاصل وما لا يقبل الوجود اصلا كالمستحيل لا يقبل ايضا ان يكون اثرا لهما

والا لزم قلب الحقيقة برجوع المستحيل عين الجايز فلا
قصور اصلا في عدم تعلق القدرة والارادة القديمتين
بالواجب والمستحيل بل لو تعلقتا بهما لزم حينيذ
القصور لانه يلزم على هذا التقدير الفاسد انه يجوز
تعلقهما باعدام انفسهما بل وباعدام الذات العلية
وباثبات الالوهية لمن لا يقبلها من الحوادث
وسلبها عمن يجب له وهو مولانا جل وعز واي نقص
وفسادا اعظم من هذا وبالجملة فهذا التقدير الفاسد
يودي الى تخليط عظم لا يبقى معه شي من الايمان
ولا شي من المعقولات اصلا ولخفا هذا المعنى على
كثير الاغبيا من المبتدعة صرح بنقيض ذلك فنقل
عن ابن حزم انه قال في الملل والنحل انه تعالى قادر
ان يتخذ ولدا اذ لو لم يقدر عليه لكان عاجزا فا
نظر اختلال عقل هذا المبتدع كيف غفل عما يلزمه على هذه
المقالة الشنيعة من اللوازم التي لا تدخل تحت
وهم وكيف فاته ان العجز انما يكون لو كان القصور
جا من ناحية القدرة اما اذا كان بعدم تعلق
القدرة فلا يتوهم عاقل ان هذا عجز وذكر الاستاذ ابو
اسحاق الاسفرايني ان اول من اخذ عنه هذا المبتدع
واشياعه ذلك بحسب الفهم الركيك من قضية ادريس
عليه السلام بحيث جاءه ابليس في صورة انسان وهو

بخيط

١٢

يخيط ويقول في كل دخلة ابرة وخرجتها سبحان
الله والحمد لله فجاءه بقشرة بيضة فقال له ان الله تعالى
يقدر ان يجعل الدنيا في هذه القشرة فقال له في
جوابه الله تعالى قادر ان يجعل الدنيا في سم هذه
الابرة ونخس احدى عينيه فصار اعور قال وهذا
وان لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
ظهر وانتشر ظهورا لا يرد قال وقد اخذ الاشعري من
جواب ادريس عليه السلام اجوبة في مسايل كثيرة
من هذا الجنس واوضح هذا الجواب فقال ان اراد
السايل ان الدنيا على ما هي عليه والقشرة على ما هي عليه
فلم يقل ما لا يعقل فان الاجسام الكثيرة تستحيل ان
تتداخل وتكون في حيز واحد وان اراد ان يصغر
الدنيا قدر القشرة ويجعلها فيها او يكبر القشرة قدر
الدنيا ويجعل الدنيا فيها فلعمري الله تعالى قادر على
ذلك وعلى اكثر منه قال بعض المشايخ وانما لم يفصل
ادريس عليه السلام الجواب هكذا لان السايل كان
معاندا متعنتا ولهذا عاقبه على هذا السوال بنخس
العين وذلك عقوبة كل سايل مثله والعلم المتعلق
بجميع الواجبات والجايزات والمستحيلات
العلم هو صفة ينكشف بها ما تتعلق به انكشافا
تاما لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه فمعنى قولنا

المتعلق بجميع الواجبات الخ ان جميع هذه الامور
منكشفة بعلمه تعالى ومتضحة له تعالى لعلمه تعالى
ازلا وابدا بلا تامل ولا استدلال اتضاحا
لا يمكن ان يكون في نفس الامر على خلاف ما علمه
جل وعز **والحيوة وهي لا تتعلق بشي** الحيوة هي صفة
تصحح لمن قامت به ان يتصف بالادراك
ومعنا كونها لا تتعلق بشي انها لا تقتضي امرا
زايدا على القيام بمحلها والصفة المتعلقة هي
التي تقتضي امرا زايدا على ذلك الا ترى ان
العلم بعد قيامه بمحله يطلب امرا يعلم به
وكذا القدرة والارادة ونحوهما وبالجملة فجميع
صفات المعاني متعلقة اي طالبة لزايد على القيام
بمحلها سوى الحيوة وهذا التعلق نفسي لتلك
الصفات كما ان قيامها بالذات نفسي لها ايضا
والسمع والبصر المتعلقان بجميع الموجودات
السمع والبصر صفتان ينكشف بهما الشي ويتضح
كالعلم الا ان الانكشاف بهما يزيد على الانكشاف
بالعلم بمعنى انه ليس عينه وذلك معلوم في
الشاهد بالضرورة ومتعلقهما اخص من متعلق
العلم فكلما تعلق به السمع والبصر يتعلق به العلم
ولا ينعكس الا جزويا ونبه بقوله بجميع الموجودات

على

١٧

على ان سمعه وبصره تعالى مخالفان لسمعنا وبصرنا
في المتعلق لان سمعنا انما يتعلق عادة ببعض الموجودات
وهي الاصوات وعلى وجه مخصوص من عدم البعد
والقرب جدا وبصرنا انما يتعلق عادة ببعض الموجودات
ايضا وهي الاجسام والوانها واكوانها في جهة مخصوصة
وعلى صفة مخصوصة اما سمع مولانا جل وعز وبصره
فيتعلقان بكل موجود قديما كان او حادثا فيسمع جل
وعز ويرا في ازله ذاته العلية وجميع صفاته
الوجودية ويسمع ويرى تبارك وتعالى مع ذلك
فيما لا يزال ذوات الكاينات كلها وجميع صفاتها
الوجودية سواء كانت من قبيل الاصوات او من
غيرها اجساما كانت او الوانا او اكوانا او غيرها
والكلام الذي ليس بحرف ولا بصوت ويتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات
كلام الله تعالى القايم بذاته هو صفة
ازلية ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم ولا
ما في معناه من السكوت ولا التبعيض ولا التقديم
ولا التاخير ثم هو مع وحدته متعلق اي دال ازلا
وابدا على جميع معلوماته التي لا نهاية لها وهو
الذي عبر عنه بالنظم المعجز المسمى ايضا بكلام الله تعالى
حقيقة لغوية وشرعية لوجود كلامه جل وعز
فيه بحسب الدلالة لا بالحلول ويسمى بالقران ايضا

وكنه هذه الصفة وساير صفاته تعالى محجوب عن العقل
كذاته جل وعز فليس لاحد ان يخوض في الكنه بعد ما
معرفة ما يجب لذاته تعالى ولصفاته وما يوجد في كتب
علم الكلام من التمثيل بالكلام النفسي في الشاهد
عند ردهم على المعتزلة القايلين باختصار الكلام
في الحروف والاصوات لا يفهم منه تشبيه كلامه جل وعز
بكلامنا النفسي في الكنه تعالى وجل ان يكون له شريك
في ذاته او صفاته او افعاله وكيف يتوهم ان كلامه تعالى
مماثل لكلامنا النفسي وكلامنا النفسي اعراض حادثة
يوجد فيها التقديم والتاخير وطرو البعض بعد عدم
البعض الذي يتقدم ويتاخر ويترتب عليه وينعدم
حسب وجود جميع ذلك في الكلام اللفظي فمن توهم هذا
في كلامه تعالى فليس بينه وبين الحشوية ونحوهم من
المبتدعة القايلين بان كلامه تعالى حروف واصوات فرق
وانما اجاب به الحشوية ابعدهم الله تعالى من انه تعالى
يتكلم تارة ويسكت اخرى بحسب ارادته فاذا سكت
لم ينعدم كلامه ولكن يصير ويكون كلامه ابدي تعالى
عن قولهم علوا كبيرا فهو منزه لا يرضى به مومن موفق
وانما مقصد العلما بذكر الكلام النفسي في الشاهد
النقض على المعتزلة في حصرهم الكلام في الحروف والاصوات
فقيل لهم ينتقض حصركم ذلك بكلامنا النفسي فانه كلام

حقيقة

حقيقة وليس بحرف ولا صوت واذا صح ذلك فكلام مولانا
جل وعز كلام حقيقة وليس بحرف ولا صوت فلم يقع ٥
الاشتراك بينهما الا في هذه الصفة السلبية وهي ان
كلام مولانا جل وعز ليس بحرف ولا صوت كما ان
كلامنا النفسي ليس بحرف ولا صوت اما الحقيقة فمباينة
للحقيقة كل المباينة فاعرف هذا فقد زلت هنا ٥
اقدام ثم تويد بنور من الملك العلام وهنا انتهى
من العقيدة ما عد من صفات المعاني وحاصلها انها
تنقسم اربعة اقسام قسم لا يتعلق بشي وهي الحياة
وقسم يتعلق بالممكنات فقط وهي اثنتان القدرة
والارادة وقسم يتعلق بجميع اقسام الموجودات وهو اثنان
ايضا السمع والبصر وقسم يتعلق بجميع اقسام الحكم العقلي
وهو العلم والكلام واعم الصفات المتعلقة في التعلق
العلم والكلام ويليه متعلق القدرة والارادة ويليه ٥
متعلق السمع والبصر عموم وخصوص من وجه فتزيد
القدرة والارادة بتعلقهما بالموجود الواجب كذات
مولانا جل وعز وصفاته ويشترك الصفتان في تعلقهما
بالموجود الممكن وانما اقتصرنا في العقيدة على هذه
السبع ولم نعد معها الصفة الثامنة وهي ادراكه
تعالى للطعوم والروايح ونحوهما من الكيفيات التي
تستدعي في حقنا بحسب العادة اتصالات لاجل الخلاف الذي

في هذه الصفة هل هي في حقه تعالى ترجع الى العلم
ام هي زايدة على العلم ويكون ادراكه تعالى لتلك
الامور بادراك زايد على العلم من غير اتصال بها ولا
تكيف للذات العلية بما جرت به العادة ان تتكيف به
ذواتنا عند هذا الادراك من اللذات والالام ونحوها
ويتعلق هذا الادراك على هذا القول في حقه تعالى بكل
موجود كسمعه جل وعز وبصره والذي اختاره بعض
المحققين في هذا الادراك الوقف لعدم ورود
السمع به فلاجل ما وقع فيه من هذا الخلاف تركنا
عده في صفات المعاني واقتصرنا على المجمع عليه وبالله
التوفيق ثم سبع صفات معنوية وهي ملازمة للسبع
الاولى انما سميت هذه الصفات معنوية لان الاتصاف
بها فرع الاتصاف بالسبع الاولى فان اتصاف
محل من المحال لكونه عالما او قادرا مثلا لا يصح
الا اذا قام به العلم والقدرة وقس على هذا
فصارت السبع الاولى وهي صفات المعاني عللا
لهذه اي ملزومة لهذه فلهذا نسبت هذه الى
تلك فقيل فيها صفة معنوية ولهذا كانت هذه
سبعا مثل الاولى فالياء في لفظ المعنوية بالنسبة الى
المعنى والواو فيها بدل من الالف التي في المعنى
وهي كونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا

وبصيرا

وبصيرا ومتكلما لما كانت هذه الصفات المعنوية لازمة
لصفات المعاني رتبها على حسب ترتيب تلك فكونه تعالى
قادرا لازم للصفة الاولى من صفات المعاني وهي القدرة
القايمة بذاته تعالى وكونه جل وعز مريدا لازما للارادة
القايمة بذاته تبارك وتعالى واعلم ان عدهم لهذه السبع
في الصفات هو على سبيل الحقيقة ان قلنا بثبوت الاحوال
وهي صفة ثبوتية ليست بموجودة ولا معدومة تقوم
بموجود فتكون هذه الصفة المعنوية على هذا صفات
ثابتة قايمة بذاته تعالى واما ان قلنا بنفي الاحوال
وانه لا واسطة بين الوجود والعدم كما هو مذهب
الشيخ الاشعري فالثابت من الصفات التي تقوم
بذاته انما هي السبع الاولى التي هي صفات المعاني اما
هذه فعبارة عن قيام تلك بالذات لان لهذه ثبوتا
في الخارج عن الذهن ومما يستحيل في حقه تعالى عشرون
صفة وهي اضداد العشرين الاولى مراده با
الضد هنا الضد اللغوي وهو كل مناف سواء كان وجوديا
او عدميا فكانه يقول يستحيل في حقه تعالى كل مناف صفة
من الصفات الاولى لان الصفات الاولى كما تقرر
وجوبها له تعالى عقلا وشرعا وقد عرفت ان حقيقة
الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه لزم ان لا يقبل
جل وعز الاتصاف بما ينافي شيا منها وانواع المنافات

وكونه تعالى عالما لازم للعلم القايم بذاته تعالى وكونه
تعالى حيا لازم للحياة القايمة بذاته تعالى وكونه
تعالى سميعا لازم للسمع القايم بذاته تعالى وكونه
تعالى بصيرا لازم للبصر القايم بذاته تعالى وكونه
تعالى متكلما لازم للكلام القايم بذاته تعالى صح

على ما تقرر في علم المنطق اربعة تنافي النقيضين وتنافي
العدم والملكة وتنافي الضدين وتنافي المتضايفين وفي كل
نوع من هذه الانواع الاربعة لا يمكن الاجتماع في بعض
الطرفين اما النقيضان فهما ثبوت امر ونفيه كثبوت الحركة
ونفيها واما العدم والملكة فهما عبارة عن ثبوت امر ونفيه
عما من شانه ان يتصف به كالبصر والعمى مثلا فالبصر وجود
اي وهو الملكة والعمى نفيه عما من شانه ان يتصف به
ولهذا القيد لا يقال في الحايط اعمى وبهذا فارق هذا النوع
النقيضين فان كلا من النوعين وان كان هو ثبوت
امر ونفيه لكن النفي فيما يقابل العدم والملكة مقيد بنفي الملكة
عما من شانه ان يتصف بها وفي النقيضين لا يتقيد بذلك
واما الضدان فهما المعنيان الوجوديان اللذان بينهما
غاية الخلاف ولا يتوقف عقلية احدهما على عقلية الاخر
مثالهما البياض والسواد ومرادنا بغاية الخلاف التنافي
بينهما بحيث لا يصح اجتماعهما واحترز بذلك من البياض
مع الحركة مثلا فانهما امران وجوديان مختلفان في
الحقيقة لكن ليس بينهما غاية الخلاف التي هي التنافي
لصحة اجتماعهما اذ يمكن ان يكون المحل الواحد متحركا
ابيض واما المتضايفان فهما الامران الوجوديان اللذان
بينهما غاية الخلاف وتتوقف عقلية احدهما على عقلية
الاخر كالابوة والبنوة مثلا والمراد بالوجودي في المتضايفين

ان كلا منهما ليس معناه عدم كذا لا انهما موجودان في الخارج
اذ من المعلوم عند المحققين ان الابوة والبنوة امران
اعتباريان لا وجود لهما في الخارج عن الذهن واهل الاصول
يجعلون اقسام المنافات اثنين فقط تنافي الضدين وتنافي
النقيضين ويجعلون العدم والملكة داخلين في النقيضين
والمتضايفين داخلين في الضدين ولهذا يقولون في
المعلومات منحصرة في اربعة الضدين والمثلين والخلا
والنقيضين لان المعلومين ان امكن اجتماعهما فهما الخلا
فان والا فان لم يمكن مع ذلك ارتفاعهما فهما النقيضان
وان امكن مع ذلك ارتفاعهما فاما ان يختلفا في الحقيقة
ام لا الاول الضدان والثاني المثلان فخرج من هذا ان
القسم الاول من هذه الاقسام الخلافان وهما يجتمعان
ويرتفعان والمعقود والثاني النقيضان لا يجتمعان
ولا يرتفعان كوجود زيد وعدمه والثالث الضدان لا
يجتمعان وقد يرتفعان كالحركة والسكون فانهما لا
يجتمعان وقد يرتفعان لعدم محلهما الذي هو الجرم
والرابع المثلان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالبياض
والبياض واحتج اصحابنا على ان المثلين لا يجتمعان بان
المحل لو قبل المثلين للزم ان يقبل الضدين فان
القابل للشيء لا يخلو عنه او عن مثله او ضده فلو
قبل المثلين لجاز وجود احدهما في المحل مع انتفا الاخر

فيخلفه ضده فيجتمع الضدان وهو محال وهي العدم
والحدوث وطرو العدم اعلم انه رتب هذه العشرين
المستحيلة علي حسب ترتيبه العشرين الواجبة فيذكر ما
ينافي الصفة الاولي ثم ينافي الصفة الثانية وهكذا
علي ذلك الترتيب الي اخرها فالعدم نقيض للصفة
الاولي وهي الوجود والحدوث نقيض للصفة الثانية
وهي القدم وطرو العدم ويسمي الفنا نقيض الصفة
الثالثة وهي البقا واستحالة العدم عليه تعالى
يستلزم استحالة الصفتين الاخيرتين عليه جل وعز
وهما الحدوث وطرو العدم لان العدم اذا كان مستحيلا
في حقه تعالى لم يتصور لا سابقا ولا لاحقا وبهذا تعرف
ان وجوب الوجود له جل وعز يستلزم وجوب القدم
والبقاء له تبارك وتعالى فعطف البقاء والقدم
علي الوجود هنالك من عطف الخاص علي العام وللازم
علي الملزوم كعطف الحدوث وطرو العدم علي العدم
هنا وانما لم يكتف بالاول في الموضعين لان المقصود
ذكر الصفات الواجبات والمستحيلات علي التفصيل
لانهم لو استغنوا فيها بالعام عن الخاص وباللازم
عن الملزوم لكان ذلك ذريعة الي الجهل بكثير منها
لخفاء اللوازم وعسر ادخال الجزئيات تحت كلياتها
وخطر الجهل في هذا العلم عظيم فينبغي الاعتنا فيه بمزيد

الايضاح

الايضاح علي قدر الامكان والاحتياط البليغ لتحلية
القلوب بيواقيت الايمان وبالله سبحانه التوفيق و
هو الهادي من يشا بمحض فضله الي سوا الطريق
ومماثلته للحوادث بان يكون جرما اي تاخذ ذاته
العلية قدرا من الفراغ او يكون عرضا يقوم
بالجرم او يكون في جهة للجرم او له هو جهة
او يتقيد بمكان او زمان او تتصف ذاته العلية
بالحوادث او يتصف بالصغر والكبر او يتصف
بالاغراض في الافعال والاحكام حقيقته
المثلين هما الامران المتساويان في جميع صفات النفس
وهي التي لا تتقرر حقيقة الذات بدونها فالمتساويان
في بعض صفات النفس او في العرضيات وهي الصفة
الخارجة عن حقيقة الذات ليسا بمثلين فزيد مثلا
انما يماثله من ساواه في جميع الصفات النفسية وهي
كونه حيوانا ذا نفس ناطقة اي مفكرة بالقوة اما
ما ساواه في بعضها كالفرس الذي ساواه في بعض
كالحيوانية مثلا فليس مثلا له وكذا ما ساواه في الصفات
العرضيات كالبياض الذي ساواه في الحدوث وصحة
الروية ونحو ذلك فليس ايضا مثلا له فاذا عرفت
حقيقة المثلين فاعلم ان العالم كله منحصر في الاجرام
والاعراض وهي المعاني التي تقوم بالاجرام ولا شك

ان من صفات نفس الجرم التحيز اي اخذه قدرا من
الفراغ بحيث يجوز ان يسكن في ذلك القدر او يتحرك
عنه ومن صفات نفسه قبول للاعراض اي للصفات
الحادثة من حركة وسكون واجتماع وافتراق والوان
واعراض ونحو ذلك ومن صفات نفسه التخصيص
ببعض الجهات وببعض الامكنة وهذه الصفات
كلها مستحيلة على مولانا جل وعز فيلزم ان لا يكون
تعالى جرما واما العرض فمن صفة نفسه قيامه بالجرم
ومن صفة نفسه وجوب العدم له في الزمان
الثاني لوجوده بحيث لا يبقى اصلا وعبارة لا يبقى اصلا
احسن من لا يبقى زمانين لان هذه تستلزم ثلاثة
ازمنة بزمان الوجود وهذا كله مستحيل على مولانا
جل وعز فليس اذا بعرض لانه تعالى يجب قيامه
بنفسه على ما عرفت تفسيره فيما سبق ويجب له جل
وعز القدم والبقاء فلا يقبل العدم اصلا وبالجملة
فكل ما سوى مولانا جل وعز يلزمه الحدوث والافتقار
الى المخصص ومولانا جل وعز يجب له الوجود
والغنا المطلق فيلزم اذا ان يكون تبارك وتعالى
مباينا لكل ما سواه اياً كان ذلك الغير جرما او عرضا
او غيرهما ان قدر ان في العالم ما ليس بجرم ولا عرض
اذ على تقدير وجود هذا القسم في العالم فهو حادث

بدليل

بدليل الاجماع كما ان القسمين الاولين حادثان
بدليل العقل وبهما يتوصل الى معرفة الله تعالى
ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام حتى يصح لنا
ان نستدل بالنقل عنهم على حدوث ذلك القسم
المقدر اذ لا يصلح للالوهية قطعا بدليل برهان
الوحدانية والاجماع على حدوث كل ما سوى الله تبارك
وتعالى فقد استبان لك انه لا مثل له جل وعز اصلا
لان التباين في اللوازم دليل على التباين في الملزومات
وبالله تعالى التوفيق وكذا يستحيل عليه تعالى ان لا
يكون تعالى قائما بنفسه بان يكون صفة
يقوم بمحل او يحتاج الى مخصص وقد عرفت فيما سبق معنى
قيامه بنفسه وانه عبارة عن استغنائه تعالى عن
المحل والمخصص اي ليس تعالى معنى من المعاني اي الاشيا
التي ليست بذوات فتحتاج الى محل اعني ذات يقوم بها
وليس ايضا جل وعز بجائز العدم فيحتاج الى
المخصص اي الفاعل الذي يخصص كل جائز
ببعض ما يجوز عليه بل هو جل وعز واجب
القدم والبقا لا تقبل ذاته العلية ولا صفاته
المرتفعة العدم اصلا فهو المنفرد بالغناء المطلق
وحده تبارك وتعالى وكذا يستحيل عليه تعالى ان لا
يكون واحدا بان يكون مركبا في ذاته او يكون

لهمائل في ذاته او صفاته او يكون معه في الوجود موثر
في فعل ما من الافعال قد عرفت ان الوحدانية ثلاثة
وحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية
الافعال وكلها واجبة لمولانا جل وعز وحده فوحدانية
الذات تنفي التركيب في ذاته تبارك وتعالى ووجود
ذات اخرى تماثل الذات العلية وبالجملة فوحدانية الذات
تنفي التعدد في حقيقتها متصلا كان او منفصلا ووحدانية
الصفات تنفي التعدد في حقيقة كل واحدة منها
متصلا كان ايضا او منفصلا فعلم مولانا جل وعز
ليس له ثان يماثله لا متصلا اي قايما بالذات العلية
ولا منفصلا اي قايما بذات اخرى بل هو تعالى يعلم
المعلومات التي لا نهاية لها بعلم واحد لا عدد له ولا
ثاني له اصلا وقس على هذا ساير صفات مولانا
جل وعز ووحدانية الافعال تنفي ان يكون ثم اختراع
لكل ما سوى مولانا جل وعز في فعل ما من الافعال
بل جميع الكائنات مولانا جل وعز هو المنفرد باختراعها
وحده بلا واسطة وما ينسب منها الى غيره جل وعز
على وجه يظهر منه التاثير فهو مؤول وبالله التوفيق
ومما يستحيل ايضا عليه تعالى العجز عن ممكن ما
قد عرفت ان قدرته تعالى واحدة عامة التعلق
بجميع الممكنات اذ لو اختصت ببعضها دون بعض

لافتقرت الى مخصص فتكون حادثة وهو محال اذ لو اتصف تعالى
بالعجز عن ممكن ما لانتفى العموم الواجب للقدرة بل ويلزم
عليه نفي القدرة اصلا لاستحالة اجتماع الضدين وا
يجاد شيء من العالم مع كراهته لوجوده اي
عدم ارادته له او مع الذهول او الغفلة او با
التعليل او الطبع قد عرفت ان حقيقة الارادة هي
القصد الى تخصيص الجائز ببعض ما يجوز عليه وقد تقرر ان
ارادته تعالى عامة التعلق بجميع الممكنات فلزم ان يستحيل
وقوع شيء منها بغير ارادة منه تعالى لوقوع ذلك الشيء
وذلك ينفي ارادته تعالى لضد ذلك الواقع والا لاجتمع
الضدان وينفي اتصافه تعالى بالذهول والغفلة لانهما
منافيان للقصد الذي هو معنى الارادة وينفي ايضا ان
تكون الذات العلية علة لوجود شيء من الممكنات او مؤثرة
فيه بالطبع لانه يلزم عليه قدم ذلك الممكن لوجوب اقتران
العلة بمعلولها والطبيعة بمطبوعها وذلك ينافي ارادة وجود
ذلك الممكن القديم لان القصد الى ايجاد الموجود محال
اذ هو من باب تحصيل الحاصل ولهذا لما اعتقد الملحدة من
الفلاسفة اهلكهم الله تعالى جميعهم ان اسناد العالم اليه
تعالى انما هو على طريق اسناد المعلول الى العلة قالوا بقدم
العالم ونفوا لعنهم الله جميع الصفات الواجبة لمولانا جل
وعز من القدرة والارادة وغيرهما وذلك كفر صراح الفرق

بين الايجاد على طريق العلة والايجاد بطريق الطبع وان
كانا مشتركين في عدم الاختيار ان الايجاد بطريق العلة
لا يتوقف على وجود شرط ولا انتفا مانع والايجاد بطريق
الطبع يتوقف على ذلك ولهذا يلزم اقتران العلة بمعلولها
كتحرك الاصبع الذي مع الخاتم التي هي فيه مثلا ولا يلزم اقتران
الطبيعة بمطبوعها كاحراق النار مع الحطب لانه قد لا يحترق
بالنار لوجود مانع وهو البلل فيه مثلا او تخلف شرط كعدم
مماسة النار له وهذا في حق الحوادث اما في حق الباري جل وعز
فلو كان فعله بالتعليل او الطبع لزم قدم الفعل فيهما مقاوقران
الفعل حينئذ بوجوده تعالى اما على التعليل فظاهر واما على الطبع
فلا يصح ان يكون ثم مانع والا لزم ان لا يوجد الفعل ابدا
لان ذلك المانع لا يكون الا قديما والقديم لا ينعدم ابدا
ولا يصح تاخر الشرط لما يلزم عليه من التسلسل فلهذا قلنا
فيما سبق انه يلزم على تقدير التعليل او الطبع في حقه تعالى
قدم المعلول او المطبوع وقد قام البرهان على وجوب الحدوث
لكل ما سواه تعالى فتعين انه سبحانه وتعالى فاعل بمحض الا
ختيار وبطل مذهب الفلاسفة والطبايعيين اذل الله جميعهم
واخلى الارض منهم والحاصل ان اقسام الفاعل بحسب التقدير
العقلي ثلاثة فاعل بالاختيار وهو الفاعل الذي يتاتى منه
الفعل والترك ولا يتوقف فعله على وجود الشرط ولا انتفا
مانع وفاعل بالتعليل وهو الفاعل الذي يتاتى منه الفعل دون

الترك

الترك ولا يتوقف فعله على وجود الشرط ولا انتفا مانع وفاعل
بالطبع وهو الفاعل الذي يتاتى منه الفعل دون الترك
ويتوقف فعله على وجود الشرط وانتفا المانع وهذه الاقسام
الثلاثة كلها موجودة عند الفلاسفة والطبايعيين
اهلك الله جميعهم ولم يوجد منها عند المومنين وقد ما
جرى لفظ التعليل في عبارات اهل السنة فليس مرادهم به
الا ثبوت التلازم بين امرين امرا عقلا واما شرعا من غير
تعليل العلة في معلولها البتة فاعرف ذلك ولا تغتر بظواهر
العبارات فتهلك مع الهالكين الا واحد وهو الفاعل با
لاختيار ثم هو خاص بواحد وهو مولانا جل وعز لا موجود
سواه فتبارك وتعالى وانما فسرنا الكراهة بعدم الارادة
لتحترز بذلك من الكراهة التي هي من اقسام الحكم الشرعي
وهي طلب الكف عن الفعل طلبا جازما او غير جازم فتلك
يصح ان تجتمع مع الايجاد فيوجد الله الفعل مع كراهته له
اي نهيه عنه كما اضل الله كثيرا من الخلق مع نهيه لهم عن
ذلك الضلال اما الكراهة بمعنى عدم ارادة الله تعالى
للفعل فيستحيل اجتماعها مع الايجاد اذ يستحيل ان يقع
في ملك مولانا جل وعز ما لا يريد وقوعه فتنبه لهذه
النكتة العجيبة في ذلك التقييد الذي قيدنا به الكراهة في
اصل العقيدة وبالله التوفيق وكذا يستحيل ايضا عليه
تعالى الجهل وما في معناه بمعلوم ما والموت

والصم والعمي والبكم مراده بما في معنى الجهل الظن والشك
والوهم والنسيان والنوم وكون العلم نظريا ونحو ذلك
فالمراد به كلما يشارك الجهل في مضادته للعلم وباقي الكلام
واضح وانما كانت في معنى الجهل لمنافاتها العلم بحسب
منافاة الجهل له والمراد بالصم والعمي في هذا الموضع عدم
السمع والبصر اصلا بوجود ما ينافيهما او غيبة موجود
ما من الموجودات عن صفة السمع والبصر لما سبق من
وجوب تعلقهما بكل موجود والمراد بالبكم عدم الكلام
اصلا بوجود آفة تمنع من وجوده وفي معناه السكوت
وفي معناه كونه بالحرف والصوت اذ الكلام الذي
يكون بالحروف والاصوات ولو بلغ غاية الفصاحة
والبلاغة وكان كمالا بالنسبة الى الحوادث الناقصة
فهو بالنسبة الى مقام الالوهية الاعلى نقيصة عظيمة
اذ فيه رذيلتان احدهما رذيلة العدم الذي يجب للحروف
والاصوات سابقا ولاحقا ويستلزم حدوث من اتصف
به واي نقيصة اعظم من نقيصة الحدوث الملزومة
لربقة الافتقار على الدوام الثانية رذيلة البكم الذي
هو لازم للحروف والاصوات لانه لما استحال اجتماع حرفين
في ان واحد فضلا عن الكلمتين فضلا عن الكلامين
يبكم المتكلم بالحرف والصوت ويحبس عن ان يدل
على معلومات له في ان واحد بصفة الكلام المركب من

الحروف

الحروف والاصوات فلو كان كلام مولانا العظيم جل وعز
بالحروف والاصوات لزم زيادة على رذيلة الحدوث
اتصافه تعالى عن ذلك بالحبسة التي هي اصل البكم
عن الدلالة على معلوماته التي لا نهاية لها بصفة
الكلام بل ويلزم الحبسة التي هي اصل البكم عن الدلالة به
على معلوماته التي لا نهاية لها بصفة الكلام بل ويلزم
الحبسة على الدلالة به في ان واحد عن معلومين له
فاكثر فقد ظهر لك هذا ان الكلام الذي يكون بالحروف
والاصوات وما في معناه من كلام النفسي متلازمان
لمعنى البكم فيستحيل اتصاف مولانا جل وعز بمثلهما
وان الواصف لمولانا جل وعز بذلك مستند الى ان
مثل ذلك الكلام في حقنا كمال ينفي عنا رذيلة البكم
قد وصفه تعالى بنقيصة عظيمة تعالى عنها علوا كبيرا
ونظيره في ذلك نظر من عرف ان نهيق الحمير واصواتها
كمال في حقها وكذا نباح الكلاب كمال في حقها فقيل عن صفة
كلام ملك من الملوك لم يسمع فقط كلامه فقال هو مثل
نهيق الحمير ونباح الكلاب معتقدا ان ذلك الصوت كمالا
منهما لما كان كما لا يمنع من اتصافهما برذيلة البكم لزم
ان اتصاف الملك بمثل ذلك كمال ينفي عنه رذيلة البكم ومن
المعلوم ضرورة ان الواصف للملك بمثل هذا قد استنقصه
غاية الاستنقاص ووصفه باقبح انواع البكم بالنسبة الى نوعه

الانساني وان لم يكن بكما بالنسبة الى نوع الحمير ونوع
الكلاب ولاشك ان كلامنا وان بلغ الغاية في البلاغة
والحسن بالنسبة الى كلام الله تعالى ادنى مما لا حصر له
من نهيق الحمير ونباح الكلاب بالنسبة الى افصح كلام
واعذبه اذ الحوادث كلها لا تفاضل بينها لذواتها بل ما
يقوم ببعضها من صفة نقص او كمال يصح ان يقوم
بغيرها من ساير ذوات الحوادث وانما مولانا جل وعز
الفاعل بمحض اختياره وهو الذي فاوت فيما بينهما
ومحض بما شا منهما من صفة نقص او كمال فاذا كان ما شا منهما
كمال بعضها نقصا عظيما بالنسبة لغيره مما يقبل
صفته ويشاركه في الحدوث فكيف يكون الحال في من
يصف المولى العظيم الذي لا مثل له ولم يشاركه شيا
سواه في جنس ولا نوع بمثل اوصاف الحوادث الناقصة
التي هي كمال لايق بنقصانها وهي انقص شي وارذله
بالنسبة الى جلال المولى الكبير المتعال وقد ورد عن
موسى عليه السلام انه كان يسد اذنيه بعد رجوعه من
المناجات وسماع كلام الله تعالى مدة ليلا يسمع كلام
الناس فيموت من شدة قبحه ووحشته حقيقة بالنسبة
الى كلام الله تعالى القديم المثال ولا يستطيع ان يسمع
كلام المخلوقين فيطول به المدة ونسيه الله تعالى
ماذاق من ذلك السماع لكلامه وقد نقل ابن عطا

الله عن ابن الاسير وكان من الابدال انه راى حوريه في نومه
حوراكلمته فبقي نحو شهرين او ثلاث اشهر لا يستطيع ان يسمع
كلاما الا تقيأ فانظر الامر كيف صار كلام الناس بالنسبة الى
كلام الحور الذي هو من جنس كلامهم ادنى واقبح من
صوت الحمير ونبح الكلاب بالنسبة الى كلام الناس اذ لا به
نحد هذا من تقيا من سماع صوت الحمير ونبح الكلاب ولو سمع
اثر سماعه افصح كلام واعذبه فكيف يكون نسبة كلام المخلوق
الى كلام الخالق الذي جل عن المثل في ذاته وصفاته
وافعاله تبارك وتعالى واضداد الصفات المعنوية
واضحة من هذه يعني انك اذا عرفت كون ضد القدرة العامة
العجز عن ممكن ما لزم ان يكون ضد الصفة المعنوية
اللازمة للقدرة وهي كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات
انه كونه عاجزا عن ممكن ما وهكذا كل صفة بمعنى فان
ضدها ضد للصفة المعنوية اللازمة لها وبالله التوفيق
واما الجايز في حقه تعالى ففعل كل ممكن او تركه لما فرغ
من ذكر ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل ذكر هذا القسم
الثالث وهو ما يجوز في حقه تعالى فذكر ان الجايز في
حقه تعالى هو فعل كل ممكن او تركه فيدخل في ذلك الثواب
والعقاب وبعث الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصلاح
والاصلاح للخلق لا يجب من ذلك شي على الله تعالى ولا
يستحيل اذ لو وجب عليه تعالى فعل الصلاح والاصلاح

للخلق كما تقوله المعتزلة لما وقعت محنة دينا ولا اخري
ولما وقع تكليف بامر ولا نهي وذلك باطل بالمشاهدة وما
يقدر من المصالح مع تلك المحن والتكاليف فالله
تعالى قادر على ايصال تلك المصالح بدون محنة
او تكليف وايضا فليس تلك المصالح عامة
في جميع الممتحنين والمكلفين للقطع بان المحنة والتكليف
في حق من ختم عليه بالكفر والعياذ بالله نقمة وتعريض
للهلاك الابدي نسال الله العافية في ديننا ودنيانا
وحسن الخاتمة بلا محنة امين اما برهان وجوب
وجوده تعالى فحدوث العالم لانه لو لم يكن له
محدث بل حدث لنفسه لزم ان يكون احد الامرين
المتساويين مساويا لصاحبه راجحا عليه بلا سبب وهو
محال ودليل حدوث العالم ملازمته للاعراض الحادثة
من حركة وسكون وغيرهما وملازم الحادث حادث
ودليل حدوثها مشاهدة تغيرها من عدم الى وجود ومن وجود الى عدم
الحادثة
لا خفا ان العالم من السموات والارضين وما فيهما وما
بينهما اجرام ملازمة لاعراض تقوم بها من حركة وسكون
وغيرهما ولنقتصر على الحركة والسكون فان معرفة لزوم
الاجرام لهما ضرورية لكل عاقل فنقول لا شك في
وجوب الحدوث لكل واحد من السكون والحركة اذ لو كان
واحد منهما قديما لما قبل ان ينعدم ابدا لان ما ثبت

قدمه استحال عدمه ولا يخفى ان كل واحد من السكون
والحركة قابل للعدم لانه قد شوهد عدم كل واحد
منهما بوجود ضده في كثير من الاجرام فلزم استواء
الاجرام كلها في ذلك واذا ثبت حدوثهما واستحال
وجودهما في الازل لزم حدوث الاجرام واستحال
وجودها في الازل قطعا لاستحالة انفكاكها عن
الحركة والسكون وبالجملة فحدوث احدى المتلازمين
يستلزم حدوث الاخر ضرورة واذا استبان لك هذا
حدوث العالم لزم افتقاره الى محدث اذ لو حدث
لنفسه لزم اجتماع امرين متنافيين وهما الاستواء
والرجحان بلا مرجح لان وجود كل فرد من افراد
العالم مساو لعدمه وزمان وجوده مساو لغيره
من الازمنة ومقداره المخصوص مساو لسائر المقادير
ومكانه الذي اختص به مساو لسائر الامكنة
وجهته المخصوصة مساوية لسائر الجهات وصفته
المخصوصة مساوية لسائر الصفات فهذه انواع كل
واحد منها فيه امران متساويان فلو حدث احدهما
لنفسه بلا محدث لترجح على مقابله مع انه مساو له
اذ قبول كل جرم لهما على السوية فقد لزم ان لو وجد
شيء من العالم لنفسه بلا موجد لزم اجتماع الاستواء
والرجحان المتنافيين وذلك محال فاذا لولا مولانا

جل وعز الذي خص كل فرد من افراد العالم بما اختص
به لما وجد شيء من العالم فسبحان من اوضح بوجوب
وجوده وجوب افتقار الكائنات كلها اليه فتبارك
وتعالى وجل وعلا فقولي لزم ان يكون احد الامرين
المتساويين اعني بهما الوجود والعدم والمقداره
المخصوص وغير ذلك نحو ذلك مما ذكرناه انفا وباقي
الكلام واضح وبالله تعالى التوفيق واما برهان
وجوب القدم له تعالى فلانه لو لم يكن قديما لكان
حادثا فيفتقر الى محدث ويلزم الدور والتسلسل
يعني انه اذا ثبت وجود مولانا جل وعز بما سبق
من البراهين وهو افتقار الكائنات كلها اليه
جل وعلا فانه يجب له جل وعز القدم وبرهانه
انه لو لم يكون قديما لكان حادثا لوجوب انحصار
كل موجود في القدم والحدوث فمهما انتفا احدهما
تعين الاخر والحدوث على مولانا جل وعز مستحيل
لانه يستلزم ان يكون له محدث لما عرفت في حدوث
العالم ثم محدثه لابد ان يكون مثله فيكون حادثا
فله ايضا محدث ويلزم ايضا في هذا المحدث ما لزم
في الذي قبله من الافتقار الى محدث اخر وهكذا فان
انحصر العدد لزم الدور لان محدث الاول يلزم ان
يكون بعض من بعده ممن احدثه هذا الاول

اواحدثه

اواحدثه من استند وجوده اليه مباشرة او بواسطة
واستحالة الدور ظاهرة لانه يلزم عليه ايضا تقدم كل
واحد من المحدثين على الاخر وتاخره عنه وذلك جمع
بين متنافيين بل ويلزم عليه ايضا تقدم كل واحد
منهما على نفسه بمرتبتين وذلك تهافت لا يعقل،
وان لم ينحصر العدد وكان قبل كل محدث محدث
اخر قبله لزم التسلسل وهو ايضا محال لانه يودي
الى فراغ ما لا نهاية له وذلك لا يعقل واذا استحال
الحدوث على مولانا جل وعز وجب له القدم وهو المطلوب
واما برهان وجوب البقا له تعالى فلانه لو امكن ان
يلحقه العدم لانتفى عنه القدم لكون وجوده
حينئذ يصير جائزا لا واجبا والجائز لا يكون وجوده
الا حادثا كيف وقد سبق قريبا وجوب قدمه
لا شك ان وجوب القدم مستلزم وجوب البقا فلما
قام البرهان على وجوب قدمه جل وعز وجب بقاوه
تبارك وتعالى اذ لو جاز ان يلحقه العدم تعالى عن
ذلك لكان وجوده جايزا لا واجبا لصدق حقيقة الجائز
حينيذ على ذاته تعالى جل وعز لان الجائز ما يصح في العقل
وجوده و لا عدمه وهذا التقدير الفاسد يستلزم
صحة الوجود والعدم للذات العلية تبارك وتعالى فيكون
جائز الوجود وذلك يستلزم حدوثه من غير ذلك

تعالى لما عرفت من استحالة ترجيح الوجود الجائز على
العدم لمقابله المساوي له في العقول من غير فاعل
كيف وقد سبق قريبا بالبرهان القاطع وجوب قدمه
جل وعز فاذا يجب بقاؤه تبارك وتعالى كما وجب قدمه
جلا وعلا وأما برهان وجوب مخالفته للحوادث فلأنه
لو ماثل شيئا منها لكان حادثا مثلها وهو
محال لما سبق من وجوب قدمه وبقائه
لا شك ان كل مثلين لا بد ان يجب لاحدهما ما وجب
للاخر ويستحيل عليه ما استحال عليه ويجوز له ما جاز
عليه وقد عرفت بالبرهان القاطع ان كل ما سوى الله تعالى
يجب له الحدوث فلو ماثل تعالى شيئا مما سواه لوجب له من
الحدوث تعالى عن ذلك ما وجب لذلك الشيء وذلك
باطل لما عرفت بالبرهان القاطع من وجوب قدمه
تعالى وبقائه وبالجملة لو ماثل تعالى شيئا من الحوادث
لوجب العدم لالوهيته والحدوث لفرض مماثلته للحوادث
وذلك جمع بين متنافيين ضرورة وأما برهان وجوب
قيامه تعالى بنفسه فلأنه لو احتاج إلى محل لكان
صفة والصفة لا تتصف بصفة المعاني ولا المعنوية
ومولانا جل وعز يجب اتصافه بهما فليس بصفة
ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثا كيف وقد قام البرهان
على وجوب قدمه تعالى وبقائه ثم ان قيام تعالى بنفسه عبارة

عن

عن استغنائه جل وعلا عن المحل والمخصص اما برهان
وجوب استغنائه تعالى عن المحل اي ذات يقوم بها فلانه
لو احتاج الى ذات اخرى تقوم بها لزم ان يكون صفة
لتلك الذات اذ لا يقوم بالذات الا صفاتها ومولانا جل
وعز يستحيل ان يكون صفة حتى يحتاج الى محل يقوم به
اذ لو كان صفة لزم ان لا يتصف بصفات المعاني وهي
القدرة والارادة والعلم الى اخرها ولا بالصفات المعنوية
كونه تعالى قادرا مريدا وعالما الى اخرها لان الصفة لا
تتصف بصفات ثبوتية غير نفسية لان النفسية والسلبية
تتصف بها الذوات والمعاني اذ لو قبلت الصفة صفة
اخرى لزم ان لا تعرى عنها وعن مثلها او عن ضدها
وهو محال ويلزم مثل ذلك في الصفة الاخرى التي
قامت بها وهلم جرا اذ القول تفصيلي فلا بد ان يتحد
المتماثلين وهو محال لما يلزم عليه من التسلسل ودخول
ما لا نهاية له من الصفات في الوجود وهو محال فاذا
الصفة لا تقبل ان تتصف بصفة ثبوتية اعني صفات
المعاني والمعنوية تقوم بها غير نفسية ومولانا جل وعز
قام البرهان القاطع على وجوب اتصافه تعالى بها اي
بصفات المعاني وبالصفات المعنوية فيلزم ان يكون
ذاتا علية موصوفا بالصفات المرتفعة وليس هو
في نفسه صفة لغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا اما برهان

وجوب استغنايه جل وعز عن المخصص اي الفاعل
فهو انه لو احتاج الي الفاعل لكان حادثا وذلك محال
لما عرفت بالبرهان القاطع من وجوب قدمه تعالي
وبقايه فتبين بهذين البرهانين وجوب الغنا المطلق
لمولانا جل وعز عن كل ما سواه وهو معني قيامه جل وعز
بنفسه واما برهان وجوب الوحدانية له جل وعز فلانه
لو لم يكن واحدا لزم ان لا يوجد شيء من العالم للزوم
عجزه يعني انه لو كان له تعالي مماثل في الالوهية لزم ان لا
يوجد شيء من الحوادث والثاني معلوم البطلان
بالضرورة وبيان لزوم ذلك انه قد تقرر بالبرهان
القاطع وجوب عموم قدرته تعالي وارادته لجميع الممكنات
فلو كان ثم موجد له من القدرة علي ايجاد ممكن ما مثل
ما لمولانا جل وعز لزم عند تعلق تلك القدرتين بايجاد
ذلك الممكن ان لا يوجد بهما معا لاستحالة اثر واحد
بين موثرين لما يلزم عليه من رجوع الاثر الواحد
اثرين وذلك لا يعقل فاذا لا بد من عجز احد الموثرين
وذلك مستلزم لعجز الاخر المماثل له في القدرة
علي الايجاد واذا لزم عجزهما معا في هذا الممكن لزم
عجزهما كذلك في ساير الممكنات لعدم الفرق بينهما
وذلك مستلزم الواحد لاستحالة وجود الحوادث كلها
والمشاهدة تقتضي بطلان ذلك ضرورة واذا استبان

وجوب

وجوب عجزهما مع الاتفاق علي ممكن واحد كان مع
الاختلاف فيه علي سبيل التضاد اظهر فتعين وجوب
وحدانية مولانا جل وعز في ذاته وفي صفاته وفي افعاله
وبهذا تعرف ان لا اثر لقدرتنا في شيء من افعالنا الا
ختيارية كحركاتنا وسكناتنا وقيامنا وقعودنا ومشينا
ونحوها فجميع ذلك مخلوق لمولانا جل وعز بلا واسطة
وقدرتنا ايضا مثل ذلك عرض مخلوق لمولانا جل وعز
يقارن تلك الافعال ويتعلق بها من غير تاثير لها في شيء
من ذلك اصلا وانما اجرى الله تعالي العادة ان يخلق
عند تلك القدرة لا بها ما شا من الافعال وجعل سبحانه
وتعالي بمحض اختياره وجود تلك القدرة فينا مقرونة
بتلك الافعال شرطا في التكليف وهذا الاقتران والتعلق
بهذه القدرة الحادثة بتلك الافعال من غير تاثير لها
اصلا هو المسمى في الاصطلاح وفي الشرع بالكسب والاكتساب
وبحسبه تضاف الافعال للعبيد لقوله تعالي لها ما كسبت و
عليها ما اكتسبت اما الاختراع والايجاد فهو من خواص مولانا
جل وعز لا يشاركه فيه شيء سواه تبارك وتعالي ويسمى العبد عند
خلق الله تعالي فيه القدرة المقارنة للفعل مختارا وعند
ما يخلق الله فيه الفعل مجردا عن مقارنة تلك القدرة
الحادثة مجبورا ومضطرا كالمرتعش مثلا وعلامة مقارنة تلك
القدرة الحادثة لما يوجد بمحالها تيسره اي تمكنه فعلا وتركا له

وعلامة الجبر وعدم تلك القدرة عدم التيسير وادراك
الفرق بين هاتين الحالتين ضروري لكل عاقل كما ان الشرع
جاء باثبات الحالتين وتفضل باسقاط التكليف في الحالة الثانية
وهي حالة الجبر دون الاولي قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها اي ما في وسعها بحسب العادة واما بحسب العقل
وما في نفس الامر فليس في وسعها اي في طاقتها اختراع شيء
ما وبهذا تعرف بطلان مذهب الجبرية القائلين باستوا
الافعال كلها وانه لا قدرة تقارن شيئا منها عموما ولا
شك انهم في هذه المقالة مبتدعة بلمة يكذبهم الشرع
والعقل وبطلان مذهب القدرية مجوس هذه الامة القائلين
بتاثير تلك القدرة الحادثة في الافعال على حسب ارادة
العبد ولا شك انهم مبتدعة اشركوا مع الله تعالى غيره
فتحقق ان مذهب اهل السنة بين هذين المذهبين
الفاسدين فهو قد خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين قوم افرطوا وهم الجبرية وقوم فرطوا وهم القدرية
وكما ان هذه القدرة الحادثة لا اثر لها اصلا في شيء من
الافعال كذلك لا اثر للنار في شيء من الاحراق والطبخ والسخن
او غير ذلك لا بطبعها ولا بقوة وضعت منها بل الله تعالى
لجري العادة اختيارا منه جل وعز بايجاد تلك الامور عندها
لا بها وقس على هذا ما يوجد من القطع عند السكين
والالم عند الجرح والشبع عند الطعام والري والنبات عند الما

أي طاقتها

والضوء

والضوء عند الشمس والسراج ونحوهما والظل عند الجدار
والشجر ونحوهما وبرود الماء السخن عند صب ماء بارد فيه وبا
لعكس ونحو ذلك مما لا ينحصر فاقطع في ذلك كله بانه مخلوق
لله تعالى بلا واسطة البتة وانه لا تاثير فيه اصلا لتلك الا
شيا التي جرت العادة بوجودها معها وبالجملة فلتعلم
ان الكائنات كلها يستحيل منها الاختراع لاثر ما بل جميعها
مخلوق لمولانا عز وجل مفتقر اليه اشد الافتقار ابتداء ودوا
ما بلا واسطة بهذا شهد البرهان العقلي ودل عليه
الكتاب والسنة واجماع السلف الصالح قبل ظهور البدع
ولا تصغ باذنك الي ما ينقله بعض من اولع بنقل الغث
والسمين على مذهب بعض اهل السنة مما يخالف ما
ذكرنا لك فشد يدك على ما ذكرناه فهو الحق الذي لا
شك فيه ولا يصح غيره واقطع تشوفك الى سماع الباطل
تعش سعيدا وتمت لذلك راحة المستمع واما برهان
وجوب اتصافه تعالى بالقدرة والارادة والعلم والحياة
فلانه لو انتفى شيء منها لما وجد شيء من الحوادث
قد تقدم لك ان تاثير القدرة الازلية موقوفة على ارادته تعالى
لذلك الاثر وارادته تعالى لذلك الاثر موقوفة على العلم به
والاتصاف بالقدرة والارادة والعلم موقوف على
الاتصاف بالحياة اذ هي شرط فيها ووجود المشروط بدون
شرطه مستحيل فاذا وجود كل حادث اي حادث كان

٢٢

موقوف على اتصاف محدثه بهذه الصفات الاربع فلو
انتفى شيء منها لما وجد شيء من الحوادث للزوم عجزه
حينئذ وبهذا تبين وجوب اتصافه تعالى بهذه الصفات
في الازل اذ لو كانت حادثة لزم توقف احداثها على اتصافه
بامثالها قبلها ثم ننقل الكلام الى امثالها وبهذا يتبين
لك وجوب القدم والبقاء لها اذ لو كانت حادثة لافتقرت
الى محدث قبلها ثم ننقل الكلام الى المحدث الاخر ويلزم
التسلسل وهو محال فيكون وجود تلك الصفات
على هذا التقدير محال وذلك مودٍّ الى المحذور المذكور
وهو ان لا يوجد شيء من الحوادث وبهذا تعرف ايضا
عموم وجوب التعلق للمتعلق منها كالعلم والقدرة
والارادة اذ لو اختصت ببعض المتعلقات دون بعض
لزم الافتقار الى المخصص فتكون حادثة ولا يمكن ان
يكون المحدث غير موصوف بها لما عرفت من وجوب
الوحدانية له تعالى وانفراده بالاختراع واحداثه لها فرع
اتصافه بامثالها قبلها ثم ننقل الكلام الى تلك الامثال
ويجيء ما سبق فقد بان لك بهذا ان البرهان الذي ذكرنا
في اصل العقيدة يؤخذ منه ثلاثة امور وجوب وجود هذه
الصفات ووجوب القدم والبقاء لها ووجوب عموم التعلق
للمتعلق منها وقد اشارنا في اصل العقيدة الى ان البرهان
الذي ذكرهو لهذه المطالب الثلاثة اما الوجود والوجوب

فقد

فقد اشار اليهما بقوله وجوب اتصافه تعالى بالقدرة
اذ الوجوب لهذه الصفة يستلزم وجودها واشار الى
المطلب الثالث وهو عموم التعلق للمتعلق منها بالالف
واللام التي ادخلها على صفة القدرة وما بعدها من
الصفات فانها للعهد والمعهود الصفات التي صح تعلقها
فيما سبق وبالله تعالى التوفيق **واما برهان وجوب
السمع له تعالى والبصر والكلام فالكتاب والسنة
والاجماع وايضا لو لم يتصف بها لزم ان يتصف با
ضدادها وهي نقائص والنقص على الله تعالى محال**
هذه الثلاثة لما لم تتوقف على معرفتها دلالة المعجزة على صدق
الرسل عليهم الصلاة والسلام صح ان يستند في معرفة وجوب
اتصافه تعالى بها الى قول الرسول عليه الصلاة والسلام
والدليل الشرعي فيها اقوى من العقلي ولهذا بدأنا به في
اصل العقيدة وقوله في الدليل الثاني العقلي والنقص
على الله محال يعني لانه يستلزم ان يحتاج حينئذ الى من
يكمله بان يدفع عنه ذلك النقص ويخلق له الكمال وذلك
يستلزم حدوثه وافتقاره الى اله اخر كيف وقد تقرر
بالدليل الشرعي وجوب الوحدانية له تعالى وايضا لو اتصف
تعالى بتلك النقائص لزم ان يكون بعض مخلوقاته
اكمل منه تعالى عن ذلك لسلامة كثير من المخلوقات من
تلك النقائص والمخلوق يستحيل عليه ان يكون اشرف

من خالقه وهذا الدليل العقلي وان كان لا يسلم من
الاعتراض فذكره على سبيل التبعية والتقوية لما هو
مستقل بنفسه لا يرد عليه شيء وهذا الدليل العقلي حسن
وقد لوحنا الى ذلك بتاخيره في اصل العقيدة وبالله
التوفيق واما برهان كونه فعل الممكنات او تركها
جايزا في حقه تعالى فانه لو وجب عليه شيء منها
عقلا او استحال عقلا لانقلب الممكن واجبا
او مستحيلا وذلك لا يعقل لا شك ان الممكن في اصطلاح
المتكلمين مرادف للجايز فيكون معناه هو الذي يصح
في العقل وجوده وعدمه فاذا لو وجب وجوده عقلا
او استحال عقلا لزم قلب الحقايق وذلك لا يعقل وايضا
فالمعتزلة انما يوجبون من الممكنات على الله تعالى فعل
الصلاح والاصلح للخلق والمشاهدة والشرع يقضيان
بفساد قولهم في ذلك كما اشرنا اليه فيما سبق عند شرح قولنا
في اصل العقيدة واما الجايز في حقه تعالى ففعل كل ممكن او تركه
ولو وجب فعل الصلاح على الله تعالى كما تقوله المعتزلة
لهداهم الله سبحانه وتعالى للصواب في عقايدهم ولما تركهم
في عماهم يترددون وهو كلامهم في هذا الفصل ظاهر لكل عاقل
ولا نطيل به وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب
في حقهم الصدق والامانة وتبليغ ما امروا بتبليغه
للخلق ويستحيل في حقهم اضداد هذه الصفات وهي

الكذب

الكذب والخيانة بفعل شيء مما نهي عنه نهي تحريم
او كراهة وكتمان شيء مما امروا بتبليغه للخلق
ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو من الاعراض
البشرية التي لا تودي الى نقص في مراتبهم العلية كالمرض
ونحوه اعلم ان الرسول هو انسان بعثه الله تعالى
للخلق ليبلغهم ما اوحي اليه وقد يخص بمن له كتاب او شريعة
او نسخ لبعض احكام الشريعة السابقة وهذا البعث
من الجايزات عند اهل السنة واوجبت المعتزلة على
اصلهم الفاسد في وجوب مراعاة الصلاح والاصلح
واحالته البراهمة لذلك ايضا ولا خلافا في كفرهم وهو
سهم والدليل لاهل السنة على ان بعث الله تعالى
للرسل جايز اذا البعث فعل من افعاله تعالى وقد علمت
انه جل وعز لا يجب عليه فعل ولو كان صلاحا او اصلح ولا
يتحتم عليه ترك وكلامنا في اصل العقيدة واضح لا يحتاج
الى شرح اما برهان وجوب صدقهم عليهم الصلاة
والسلام فلانهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره
تعالى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة
قوله جل وعز صدق عبدي في كل ما يبلغ عني
هذا برهان صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام
في دعواهم الرسالة وفيما يبلغونه بعد ذلك الى الخلق
وحاصل هذا البرهان ان المعجزة التي خلق الله على

٢٥

ايدي الرسل وهي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي
مع عدم المعارضة يتنزل من مولانا عز وجل منزلة
قوله جل وعز صدق عبدي في كل ما يبلغ عني فلو جاز
الكذب على الرسل لجاز الكذب عليه تعالى اذ تصديق الكاذب
كذب والكذب على الله محال اذ خبره تعالى على وفق علمه
والخبر على وفق العلم لا يكون الا صدقا فخبره تعالى لا
يكون الا صدقا وقولنا في تعريف المعجزة امر احسن من
قول بعضهم فعل لان الامر يتناول الفعل كانفجار الماء
من بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الفعل
كعدم احراق النار مثلا لابراهيم عليه الصلاة والسلام
واحترزنا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء
والعلامات الارهاصية التي تتقدم بعثة الانبيا
تانيسا لها وعن ان يتحدى الكاذب بمعجزة من مضى
حجة لنفسه واحترز بعدم المعارضة عن السحر والشعوذة د ه
ومعنى التحدي دعوى الخارق دليلا على الصدق
اما بلسان الحال او بلسان المقال وقد ضرب العلما
لدعوى الرسول الرسالة وطلبه للمعجزة من الله تعالى
دليلا على صدقه مثلا لتتضح دلالتها على صدق
الرسل وتعلم ذلك على الضرورة فقالوا مثال ذلك
ما اذا قام رجل في مجلس ملك بمرأى منه ومسمع
بحضور جماعة وادعى انه رسول هذا الملك اليهم فطالبوه



٢٦

بالحجة فقال هي ان يخالف الملك عادته ويقوم عن سريره
ويقعد ثلاث مرات مثلا ففعل فلا شك ان هذا الفعل من الملك
على سبيل الاجابة للرسول تصديق له ومفيد للعلم الضروري
بصدقه بلا ارتياب ونازل منزلة قوله صدق هذا الانسان
في كل ما يبلغ عني ولا فرق في حصول العلم الضروري بصدق
ذلك الرسول بين من شاهد ذلك الفعل من الملك او لم
يشاهده الا انه بلغه بالتواتر خبر ذلك الفعل ولا شك
في مطابقة هذا المثال لحال الرسل عليهم الصلاة والسلام فلا
يرتاب في صدقهم الا من طبع الله على قلبه والعياذ بالله تعالى
فنسأله سبحانه وتعالى ثبات الايمان والوفاة على اكمل
حالاته بلا محنة دنيا واخرى واما برهان وجوب الامانة
لهم عليهم الصلاة والسلام فلانهم لو خانوا بفعل
محرم او مكروه لانقلب المحرم والمكروه طاعة
في حقهم لان الله تعالى قد امرنا بالاقتدا بهم في
اقوالهم وافعالهم ولا يامر الله تعالى بمحرم ولا مكروه
وهذا بعينه هو برهان وجوب الثالث
لا شك ان الرسل عليهم الصلاة والسلام امرنا بالاقتدا
بهم في اقوالهم وافعالهم الا ما ثبت اختصاصهم به عن
امتهم قال الله تعالى في حق نبينا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر وقال تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى

ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويوتون
الزكاة والذين هم باياتنا يومنون الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في
التورات والانجيل الى غير ذلك مما يطول تتبعه وقد علم
من دين الصحابة ضرورة اتباعه عليه الصلاة والسلام
بما عنه بتوقف ولا نظر اصلا في جميع اقواله وافعاله
الا ما قام به دليل على اختصاصه به فقد خلعوا نعالهم
لما خلع عليه الصلاة والسلام نعله ونزعوا خواتيمهم لما
نزع عليه الصلاة والسلام خاتمه وصار ابو بكر وعمر ركبتيهما
في قصة جلوسهما على البئر كما فعل عليه الصلاة والسلام
وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام على الحلاق
عند ما اراده صلى الله عليه وسلم بحلق راسه وحل من عمرته
في قصة الحديبية وكانوا يبحثون البحث العظيم على
هيئة جلوسه ونومه وكيفية اكله وغير ذلك ليقتدوا
به فقال لهم عليه الصلاة والسلام لما ارادوا التبتل
والانقطاع للعبادة ليلا ونهارا اما انا فاكل واشرب
وانام واتزوج النساء وكلاما يقرب من هذا فمن رغب
عن شيء فليس مني انظر كيف ردهم بفعله الذي لا
معدل عن الاقتداء به عما قصدوه مع انه يظهر قبل التامل
انه من اكبر الطاعات وجهاد النفس وقد ثبت ان
ابن عمر رضي الله عنه لما ساله السائل عن صبغه

بالصفرة

٣٧

بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم اذا اهل
هلال ذي الحجة وانما يحرم في يوم التروية وكونه انما يلمس
الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند في ذلك كله لفعله
صلى الله عليه وسلم وقد اداره راحلته في موضع واعتل لذلك
بانه كذلك راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل وانظر
لقول عمر رضي الله عنه للحجر الاسود وقد علمت انك حجر
لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبلك ما قبلتك وقد ثبت عن بعض السلف
واظنه احمد ابن حنبل رضي الله عنه انه كان لا ياكل
البطيخ فقيل له في ذلك فقال يمنعني من اكله انه لم
يثبت عندي كيف اكله النبي صلى الله عليه وسلم وبالجملة
فالاتباع له صلى الله عليه وسلم في جميع افعاله الا ما اختص
به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلا بلا تردد ولا توقف
اصلا مما علم من دين السلف ضرورة فلا شك ان هذا
دليل قطعي اجماعي على عصمته صلى الله عليه وسلم وفي معناه عصمة
سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام من جميع المعاصي
والمكروهات وان افعالهم دايرة بين الواجب والمندوب
والمباح بحسب النظر الى الفعل من حيث ذاته واما لو نظر اليه
بحسب عوارضه فالحق ان افعالهم دايرة بين الواجب والمندوب
لا غير لان المباح لا يقع منهم عليهم الصلاة والسلام بمقتضى
الشهوة ونحوها كما يقع من غيرهم بل لا يقع منهم الا مصاحبا

لنية يصير بها قربة واقل ذلك ان يقصد وابه التنويع
للغير وذلك من باب التعليم وناهيك بمنزلة قربة التعليم
وعظيم فضلها واذا كان ادنى الاولياء يصير الى رتبة
يصير معها المباحات كلها طاعات بحسن النية في تناولها
فما بالك بخيرة الله تعالى من خلقه وهم انبياوه ورسله
عليهم الصلاة والسلام لاسيما اشرف الخلق وافضل
العالمين جملة وتفصيلا باجماع من يعتد باجماعه سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولاجل انحصار افعالهم
في الواجب والمندوب على هذا الذي ذكرنا اقتصرنا في
اصل العقيدة على ما يقتضي الاختصاص وهو الطاعة
وندبنا التقييد بقولنا في حقهم اشارة الى بعض افعالهم
وان كان يطلق عليها الاباحة بالنظر الى الفعل في
نفسه وبالنظر الى مطلق وجوده من عامة المومنين
فهو في حقهم عليهم الصلاة والسلام لكمال معرفتهم
بالله تعالى وسلامتهم من دعاوي النفس والهوى
وامنهم من طوارق الغفلات والملل يقظة ونوما
وتاييدهم بعصمة الله تعالى في كل حال لا يقع منهم
الا طاعة يثابون عليها صلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى جميع اخوانه من الانبياء والمرسلين ولتكن ايها
المومن على حذر عظيم ووجل شديد على ايمانك
ان يسلب بان تضعفه بذلك او بغفلتك الى خرافة
تنقلها

تنقلها كذبة المورخين وتبعها في بعضها بعض
جملة المفسرين رفضا لمنصب الحق الذي لا غبار عليه في
حقهم عليهم الصلاة والسلام فقد بدلت عليه وانت
كلما سواه والله تعالى المستعان قوله وهذا بعينه
هو برهان وجوب الثالث مراده بالثالث تبليغهم عليهم
الصلاة والسلام ما امروا بتبليغه ولا شك انهم لو
وقع منهم خلاف ذلك لكنا مامورين ان نقتدي بهم
في ذلك فنكتم ايضا نحن بعض ما اوجب الله علينا
تبليغه من العلم النافع لمن اضطر اليه كيف وهو محرم
ملعون فاعله قال الله تعالى ان الذين يكتمون ما
انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
وكيف يتصور وقوع ذلك منهم عليهم الصلاة والسلام
ومولانا جل وعز يقول لسيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته اي ان لم تبلغ بعض
ما امرت بتبليغه من الرسالة فحكمك حكم من لم يبلغ
شيئا منها فانظر هذا التخويف العظيم لاشرف خلقه
واكملهم معرفة به فكان خوفه على قدر معرفته ولهذا
كان يسمع لصدره ازيز اي غليان كازيز المرجل من
خوف الله تعالى وقد شهد مولانا جل وعلا لسيدنا

٢٦

ومولانا محمد صلى الله عليه بكمال التبليغ فقال تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا وقال تعالى لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي ونحو قال تعالى فتولى عنهم فما انت بملوم
والآي في ذلك كثير وبالله التوفيق واما دليل جواز
الاعراض البشرية لهم صلوات الله وسلامه عليهم
فمشاهدة وقوعها بهم اما لتعظيم اجرهم او للتشريع
او للتسلي عن الدنيا والتنبيه لخسة قدرها عند
الله وعدم رضاه تعالى بها دار جزاء لاوليائه
باعتبار احوالهم فهم عليهم الصلاة والسلام
يعني ان الاعراض البشرية لا يقع منها بالانبيا عليهم
الصلاة والسلام الا ما لا ينقص من مقاماتهم ولا يقدح
في شيء من مراتبهم فالمرض مثلا وان كان يقع بهم نحوه نحالهم
منهم البدن الظاهر اما قلوبهم باعتبار ما فيها من
المعارف والاسرار والانوار التي لا يعلم قدرها الا
الله عز وجل الذي من عليهم بها فلا يحل المرض
بخروج معلامة ظفر منها ولا يكدر شيئا من صفوها
ولا يوجب لهم ضجرا ولا انحرافا ولا ضعفا لقواهم
الباطنة اصلا كما هو موجود في غيرهم عليهم
الصلاة والسلام وكذا الجوع والنوم لا يستولي
على شيء من قلوبهم ولهذا تنام اعينهم ولا تنام

قلوبهم

قلوبهم وحال قلوبهم في توجهها بانوار المعارف والحضور
والترقي في منازل القرب التي لم يحم احد من سواهم
حول ادنى شيء منها وقيامهم بالوظائف التي كلفوا بها
في الحضر والسفر والصحة والمرض اكمل قيام هو على
حد السوا في جميع الاحوال وفائدة اصابة ظواهرهم
عليهم الصلاة والسلام بتلك الاعراض ما اشرنا اليه
٢٩ في اصل العقيدة من تعظيم اجرهم عليهم الصلاة و
السلام وذلك كما في امراضهم ووجعهم واذية الخلق
لهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اشدكم بلاء الانبياء
ثم الامثل فالامثل ومولانا جل وعز قادر ان يوصل
اليهم ذلك الثواب الاعظم بلا مشقة تلحقهم عليهم
الصلاة والسلام لكن بعدله جل وعلا وعظيم حكمته التي
لا تحصرها العقول اختار ان يوصل لهم ذلك الثواب مع
تلك الاعراض يفعل ما يشا ولا يسال عما يفعل تبارك
وتعالى ومن فوائد نزول تلك الاعراض بهم عليهم الصلاة
والسلام تشريع الاحكام المتعلقة للخلق كما عرفنا احكام
السهو في الصلاة من سهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم وكيف تؤدى الصلاة في المرض والخوف من
فعله عليه الصلاة والسلام لما عنت تلك وعرفنا
هيئة اكل الطعام وشرب الشراب من اكله وشربه صلى الله
عليه وسلم فهو كان عليه الصلاة والسلام غنيا عن الطعام

والشراب اذ هو عليه الصلاة والسلام يبيت
عند ربه يطعمه ويسقيه الى غير ذلك ومن فوايدها
ايضا التسلي عن الدنيا اي التصبر وجود الراحة
واللذة لفقدها والتنزه لخسة قدرها عند الله
تبارك وتعالى لما يراه العاقل من معاينات هولاء
السادات الكرام خيرة الله تعالى من خلقه لشدايدها
واعراضهم عنها وعن زخرفها الذي عن كثير من الحمقا
اعراض العقلاء عن الجيف والنجاسات ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة قذرة ولم ياخذوا
عليهم الصلاة والسلام منها الا شبه زاد المسافر
المستعجل ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كن في
الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وقال لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقا الكافر
منها جرعة ماء فاذا نظر العاقل في احوال الانبيا عليهم
الصلاة والسلام في ترك زينة الدنيا وزخارفها علم
علم اليقين انها لا قدر لها عند الله تعالى فاعرض
عنها بقلبه بالكلية ان كانت فاهمة للحلول في
الفراديس العلا وعظيم اللذة الذي لا يكيف
بزوال الحجاب عنه لروية المولى بكرة وعشية وسيد
ازارم لعبادة مولاه جل وعز بشد الكرام وجبر هذه
اللحظة اليسيرة من العمر وما اربح صفقة هذا الموفق

اذ بدد

اذ بدد شيا يسير الا قيمة له لبارية وخسة فاخذ
شيا كثيرا لا قيمة له لكثرته ولعظم رفعته وتزايده
نعمة كل لحظة ابد الابدين بخ بخ ما هذا الموفق في
ذل اطماع وخفقان قلبه وسيلان دمعه وعويله في
الاسحار وتوحشه من الخلوق طرا بندبه على نفسه بتفيه
وقد احرق كبده خوفه فوات رضى مولاه جل وعز
الذي لا يمكن منه خلوف نظر روحه احيانا وترفق
القصد الخروج من شدة الحب وازعاج حرارة
الشوق فيردها محيط قفص البدن ثم تهب عليها
نسيم الوصلة فتسكن روحه لذلك بعض سكون
فبينما هو في مكابدة هذه الاحوال والتنعم بالمحبوب
وراء الحجب اذ هو قد اصبح قريبا بنفس موته متصلا
بمحبوبه دون حجاب يتنعم برويته من ليس كمثله شي
جل رب الارباب فالقى عليه من خلع الكرامات ما يليق
بكرمه ومنحه ما لا يحيط به عقل ولا يحصيه ديوان من
طرايف هباته وجلايل نعمه واصبح بعد ان كان حقيرا
مسكينا لا يصبا به ملكا من ملوك الجنة يسرح فيها
اين شا ويتنعم منها كيف يشا تطوف عليه الحور والولدان
ويرى اثر الموت ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب انسان فهذا ايها العاقل هو الملك الذي تبذل فيه
النفوس والمهج ثم والله ليس بغنيمة لشي منه لولا فضل

هج

مولانا جل وعز الكريم الوهاب فنحدث عن بحر فضله
العظيم بما شئت ولا حرج ذنبت للجد والساعون قد بلغوا
حد النفوس والقعود دونها الازار وكابدوا المجد حتى مل اكثرهم
وعانق المجد من وافا ومن صبرا لا تحسب المجد تمرا انت
اكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا فسبحان من اكرم
قوما واكمل عقولهم وعلاهم دينا واخرى المحل المنازل
وحط قوما مع مساواتهم لهم في الصورة البشرية الى ارذل
شيء من الحضيض السافل وملكهم لاخس شيء وهو
النفس والهوى والشيطان فاتبعوهم في غير شيء وعرضوهم
دينا واخرى للمهالك عظيم وهو لعاجل اثر الموت سيبيد
مستطيل نازل وحسبوا العمل بصائرهم وتناهى جفائهم
وشدة بلائهم وكثرة محنتهم انهم ظفروا بشيء من اللذائذ
وهم والله قد خرجوا من الدنيا ولم يظفروا بشيء من
لذائذ العاجل والاجل وما احسن قول القائل بعضهم
لمن في ايام محنة حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن
الى المولى الكريم نشكوا ما اصابنا من التخلف عن
رفاق ذوي الهمم السادات الكرام ولبقائنا عاجزين
مطرودين في ساقة الاخساء اللئام نتجاذب معهم
بقلوبنا وجوارحنا شهوات بهيمية لا تجدي لها ولا
طائل تحتها عند سرها بمحك التحقيق التام بل هي
في الحقيقة سموم قاتلة وعورات بادية وعذرات منتنة

يجب

٤٨

يجب نشتها عن القيام ذوي الاوهام ثم تشاغلنا
بها يا طول حسرتنا ولهفتنا وعظم حمقنا في مفازة
مهلكة نخشى فيها من الانقطاع والهلاك بمجرد التفاتة
واحدة عن القصد والمرام فكيف بما نحن فيه من
التلفت وعن منهج الاستقامة حتى عدلنا عن سنن
الهدى وقصدنا بجهلنا عين موضع الهلاك بقوة
العزم والاهتمام اللهم يا منقذ الغرقى بعد ان
يئسوا انقذنا من هذا الوحل العظيم الذي نحن فيه
بلا محنة يا ارحم الراحمين يا ذا الجلال والاكرام اللهم
لك الحمد واليك المشتكى وبك المستعان وعليك
المتكل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واحرسنا
يا مولانا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا
يرام وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه ومن تبعهم
باحسان على الدوام ويجمع معاني هذه العقائد
كلها قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فرغ من ذكر ما يجب على المكلف معرفته من عقائد
الايمان في حق مولانا جل وعز وفي حق رسله عليهم
الصلاة والسلام كمل الفائدة هنا ببيان اندراج جميع
ما سبق تحت كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول
الله ليحصل لكم العلم بعقائد الايمان تفصيلا وجملة
ولتعرف بذلك شرف هذه الكلمة وما انطوى تحتها

من المحاسن حتى تتنور القلب عند ذكرها بانوار اليقين
ويتموج فيه اضوا الايمان حتى تنبسط على الظاهر وتنتشر الى
علمين وتنفتق لك كنز هذه الكلمة عن يواقيت فراديس
الجنان وتعرف قدر ما منحت من النعمة العظمى التي خصصت بها
بمحض فضل المولى الكريم الرحمن الرحيم بعد ان كان قد
احتوى بيت بذلك على كنز عظيم من كنوز مولانا جل
وعز الموصلة الى كشف الحجب والتمتع بشريف الرضوان
ولم تدر يا مسكين ما هنالك وعسر عليك الوصول
الى ما في باطنه من المحاسن الفاخرة التي لا تنال لولا الله
لولا فضله تعالى بشي من الايمان ولا شك ان هذه
الكلمة مما يجب على كل موحد ان يعتني بشانها اذ هي ثمن
الجنة والمنقذة من المهالك دنيا واخرى وقد نص العلما
على انه لا بد من فهم معناها والا لم ينتفع بها صاحبها
في الانقاذ من الخلود في النار ولهذا ينبغي ان يكون كلامنا
فيها على سبيل الاختصار في سبعة فصول الاول في ضبط
هذه الكلمة الثاني في اعرابها الثالث في بيان معانيها الرابع
في بيان حكمها الخامس في بيان فضلها السادس في كيفية
ذكرها على الوجه الاكمل الذي يتذوق به ذاكرها جميع
لذات محاسنها او بعضها على حسب ما ينفتح له عند ذكرها
من التعلم والتعليم السابع في بيان الفوائد التي تحصل
لذاكرها على الوجه الاكمل ان شا الله تعالى ولنوضح بيان

الفصول

الفصول الاربعة وهي الرابع وما بعده الى ما يناسبها من
اصل العقيدة وهو قولنا فيها فعلى العاقل ان يكثر من
ذكرها الى اخره اما ضبط هذه الكلمة فينبغي للذاكر ان لا يطيل
مد الالف لا جدا وان يقطع الهمزة من اله اذ كثيرا ما يلحن
بعض الناس فيبدل الهمزة ياء وكذا يفصح بالهمزة من الا
ويشدد اللام بعدها اذ كثيرا ما يلحن بعضهم فيبدل الهمزة
ايضا ياء ويخفف اللام واما كلمة الجلالة فينبغي التعظيم الذي
بعد الالف فلا يخلو اما ان يقف عليها الذاكر او لا فان وقف
فينبغي عليه السكون وان وصلها بشي اخر كان يقول
لا اله الا الله وحده لا شريك له فله فيها وجهان الرفع
وهو الارجح والنصب وهو مرجوح وسياتي وجههما في
فصل الاعراب وينبغي ان ينون الذاكر اسم سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم ويدغم تنوينه في الرا واما اعراب
هذه الكلمة فقد علمت انها قد احتوت على صدر وعجز
فعجزها ظاهر الاعراب اذ هو جملة من مبتدا وخبر ومضاف
اليه واما صدرها فلا فيه نافية والمبني معها النكرة بمعنى من
اذ التقدير لا من اله ولهذا كانت نصا في العموم كانه نفى
المتكلم كل اله غيره جل وعز من مبدا ما يقدر منها الى ما لا
نهاية له مما يقدر وقيل بني الاسم معها للتركيب وذهب
الزجاج الى ان اسمها معرب منصوب بها واذا فرعنا على
المشهور من البنا فموضع الاسم نصب بلا العاملة عمل ان

والمجموع من لا اله في موضع رفع بالابتدا والخبر المقدر
هو لهذا المبتدا ولم تعمل فيه لا عند سيبويه وقال الا
خفش لا هي العاملة فيه وقال الدماميني في تعليقه
على المغني قد تكلم القاضي محب الدين ناظر الجيش
في شرح التسهيل على اعراب هذه الكلمة الشريفة ما
اوردته بجملته وان كان فيه طول لاشتماله على فوايد
قال قال اهل العلم ان الاسم المعظم في هذا التركيب
يرفع وهو الكثير وله ثبات في القرآن العزيز غيره وقد
ينصب اما اذا رفع فالاقوال فيه للناس على اختلاف
اعرابهم خمسة منها قولان معتبران وثلاثة لا معول
على شيء منها القولان المعتبران بان يكون رفعه
على البدلية وان يكون على الخبرية اما القول بالبدلية
فهو المشهور الجاري على السنة المعربين وهو رأي
ابن مالك فانه قال لما تكلم على حذف خبر لا العاملة
عمل ان واكثر ما يحذفه الحجازيون مع الا نحو لا اله
الا الله وهذا الكلام منه يدل على ان رفع الاسم
المعظم ليس على الخبرية وحينئذ يتعين ان يكون
على البدلية ثم الاقرب ان يكون البدل من الضمير
المستتر في الخبر المقدر وقد قيل بدل من اسم لا
باعتبار محل الابتدا يعني باعتبار محل الاسم قبل
دخول لا وانما كان القول بالبدل من الضمير المستتر

اولى

٤٢

اولى لان الابدال من الاقرب وهو الضمير اولى من الا
بعد وانه لا داعية الى الاتباع باعتبار المحل مع امكان
الاتباع باعتبار اللفظ ثم البدل ان كان من الضمير المستكن
في الخبر كان البدل فيه نظير البدل في نحو ما قام احد الا
زيد لان البدل في المستثنى باعتبار اللفظ وان كان
من الاسم كان البدل فيه نظير البدل في نحو لا احد
فيها الا زيد لان البدل في المستثنى باعتبار المحل
وقد يستشكل الناس البدل فيما ذكرنا اما في نحو ما قام
احد الا زيد فمن جهتين احداهما انه بدل بعض وليس
ثم ضمير يعود على المبدل منه الثانية ان بينهما
مخالفة فان البدل موجب والمبدل منه منفي وقد
اجيب عن الاول بان الا وما بعدها من تمام الكلام
الاول والا قرينة مفهمة ان الثاني قد كان يتناوله
الاول فمعلوم انه بعضه فلا يحتاج فيه الى رابط بخلاف
قبضت المال بعضه وعن الثاني بانه بدل من الاول في
عمل العامل وتخالفهما بالنفي والايجاب لا يمنع البدلية
لان من ذهب الى البدل يجعل الاول كانه لم يذكر والثاني
في موضعه وقد قال ابن الصايغ اذا قلت ما قام احد
الا زيد فالا زيد هو البدل وهو الذي يقع في موضع
احد فليس زيد وحده بدلا من احد وانما الا زيد هو
الاحد الذي نفيت عنه القيام فالا زيد بيان للاحد

الذي عنيت ثم قال بعد ذلك فعلى هذا البدل في الا
ستثنا اشبه ببدل الشيء من الشيء منه بدل البعض من
الكل وقال في موضع اخر لو قيل ان البدل في الاستثنا
قسم على حدته ليس من تلك الابدال التي بينت من
غير الاستثنا لكان وجها وهو الحق انتهى اما في
نحو لا احد فيها الا زيد فوجه الاشكال فيه ان زيد
بدل من احد وانت لا يمكنك ان تحله محله وقد
اجاب الشلوبيني عن ذلك بان هذا الكلام انما هو على
توهم ما فيها احد الا زيد اذ المعنى واحد وهذا
يمكن فيه الحلول بان تقول ما فيها الا زيد انتهى
وهو كلام حسن قال الدماميني وعلى قول الشلوبيني
فتكون كلمة التوحيد على معنى لا يستحق العبادة احد
الا الله وهذا يمكن فيه احلال البدل محل المبدل منه
بان تقول لا يستحق العبادة الا الله انتهى قال
ناظر الجيش واما القول بالخبرية في الاسم المعظم
فقد قال به جماعة ويظهر لي انه ارجح من القول
بالبدلية وقد ضعف القول بالخبرية بثلاثة امور
وهي انه يلزم من القول بذلك كون خبر لا معرفة ولا
لا تعمل في المعارف وان الاسم المعظم مستثنى والمستثنى
لا يصح ان يكون عين المستثنى منه لانه لم يذكر الا ليبين
به ما قصد بالمستثنى منه وان اسم لا عام والاسم المعظم

خاص

٤٤

خاص والخاص لا يكون خبرا عن العام لا يقال ال
لحيوان انسان والجواب عن هذه الامور اما الاول
فهو انك قد عرفت ان مذهب سيبويه ان حال التركيب
الاسم مع لا لا عمل لها في الخبر وانه حينئذ مرفوع بما كان
مرفوعا به قبل دخول لا وقد علل ذلك بان شبهها بان
ضعفه حين ركبت وصارت كجزء كلمة وجزء الكلمة
لا يعمل ومقتضى هذا ان يبطل عملها في الاسم ايضا
لكن ابقوا عملها في اقرب المعمولين وجعلت هي مع
معمولها بمنزلة مبتدا والخبر بعدهما على ما كان عليه من
التجرد واذا كان كذلك لم يثبت عمل لا في المعرفة واما
في الثاني فلا نسلم ان اسم لا هو المستثنى منه
وذلك ان الاسم المعظم اذا كان خبرا كان الاستثنا
فيه مفرغا والمفرغ هو الذي لا يكون المستثنى منه فيه
مذكورا نعم الاستثنا فيه انما هو من شيء مقدر لصحة
المعنى ولا اعتداد بذلك المقدر لفظا ولا خلاف نعلم
في نحو ما زيد الا قائم ان قائما خبر عن زيد ولا
شك ان زيدا فاعل في قول ما قام الا زيد مع انه
مستثنى من مقدر في المعنى التقدير ما قام احد الا
زيد فعلى هذا لا منافاة بين كون الاسم المعظم خبرا
عن اسم قبله وبين كونه مستثنى من مقدر وجعله
خبرا منظورا فيه الى جانب اللفظ وجعله مستثنى منظور

فيه الى جانب المعنى واما الثالث فهو ان يقال قولك ان
الخاص لا يكون خبراً عن العام لكن في لا اله الا الله
لم يخبر بخاص عن عام لان العموم منفي والكلام انما
سيق لنفي العموم وتخصيص الخبر المذكور بواحد من
افراد ما دل عليه اللفظ العام واما الاقوال الثلاثة الا
خيرة التي لا عمل عليها فاحدها ان الا ليست اداة
استثنا وانما هي بمعنى غير وهي مع الاسم
المعظم صفة لاسم لا باعتبار المحل ذكر ذلك الشيخ
عبد القاهر الجرجاني عن بعضهم والتقدير لا اله
غير الله في الوجود ولا شك ان القول بان الا في
هذا التركيب بمعنى غير ليس له مانع يمنع من
جهة الصناعة النحوية وانما يمنع من جهة المعنى
وذلك لان المقصود من هذا الكلام امران نفي الالوهية
عن غير الله تعالى واثبات الالوهية لله تعالى ولا يفيد
هذا التركيب حينئذ فان قيل يستفاد ذلك بالمفهوم
قلنا اين دلالة المفهوم من دلالة المنطوق ثم في هذا
المفهوم ان كان مفهوم لقب ولا عبرة به اذ لم يقل به
الا الدقاق قلت وقال به بعض الحنابلة ايضاً قال
وان كان مفهوم صفة فقد عرف في اصول الفقه انه
غير مجمع على ثبوته فقد تبين لك ضعف هذا القول
لا محالة القول الثاني ونسب الى الزمخشري ان لا اله

٢

في موضع الخبر والا الله في موضع الابتدا وقد قرر ذلك
بتقدير للنظر فيه مجال ولا يخفى ضعف هذا القول
وانه يلزم منه ان الخبر يبنى مع لا وهي لا يبنى معها الا
المبتدا ثم لو كان الامر كذلك لم يجز نصب الاسم المعظم
في هذا التركيب وقد جوزوه كما سياتي والقول الثالث
ان الاسم المعظم مرفوع باله كما يرتفع الاسم بالصفة
في قولنا اقائم الزيدان فيكون المرفوع قد اغنى عن الخبر
وقد قرر ذلك بان اله بمعنى مالوه من اله اي عبد
فيكون الاسم المعظم مرفوعاً على انه مفعول اقيم مقام
الفاعل واستغنى به عن الخبر كما في قولنا ما مضروب
الا العمران وضعف هذا القول غير خفي لان اله ليس
بوصف ولا يستحق عملا ثم لو كان اله عامل الرفع فيما
يليه لوجب اعرابه وتنوينه لانه مطول اذ ذاك وقد
اجاب بعض الفضلا عن هذا بان بعض النحاة
يجوز حذف التنوين من مثل ذلك وعليه يحمل قوله
تعالى لا غالب لكم اليوم من الناس ولا تثريب عليكم
وفي هذا الجواب نظر لان الذي يجيز حذف التنوين من
مثل ذلك يجيز اثباته ايضاً ولا يعلم ان احداً اجاز
التنوين في لا اله الا الله هذا اخر الكلام على توجيه الرفع
واما النصب فقد ذكروا له توجيهين احدهما ان يكون على
الاستثنا من الضمير في الخبر المقدر الثاني ان يكون الا

٤٥

الا الله صفة لاسم لا اما كونه صفة فهو لا يكون
الا ان كان الا بمعنى غير وقد عرفت ان الا اذا كان
كذلك لا يكون الكلام دالا بمنطوقه على ثبوت الالوهية
لله تعالى والمقصود الاعظم هو اثبات الالوهية لله تعالى
بعد نفيها عن غيره وعلى هذا يمتنع هذا التوجيه اعني
كون الا الله صفة لاسم لا واما التوجيه الاول فقالوا
فيه مرجوح وكان حقه ان يكون راجحا لان الكلام غير
موجب والمقتضي لعدم رجحته البدل هنا ان الترجيح
في نحو ما قام القوم الا زيد انما كان بحصول المشاكلة
حتى لو حصلت المشاركة في تركيب استويا نحو ما ضربت
احدا الا زيدا ومن ثم قالوا اذا لم يحصل مشاكلة في الاتباع
كان النصب على الاستثنا اولى فقالوا وفي هذا التركيب
يترجح النصب في القياس لكن السماع والاكثر الرفع ه
ونقل عن الاندلسي انه اذا قلت لا رجل في الدار الا عمرا
كان نصب عمرو على الاستثنا احسن من رفعه على
البدل هنا ما ذكروه والذي يقتضيه النظر ان النصب
لا يجوز بل ولا البدل وتقرير ذلك ان يقال ان الا في
الكلام التام الموجب نحو قام القوم الا زيدا متمحضة
للاستثنا فهي تخرج ما بعدها مما افاده الكلام الذي
قبلها وذلك ان هذا الكلام انما يقصد به الاخبار عن
القوم بالقيام ثم ان زيدا منهم ولم يكن مشاركهم

فيما

46

فيما اسند اليهم فوجب اخراجه وكذا حكم الا في الكلام التام
غير الموجب ايضا نحو ما قام القوم الا زيد ومن ثم
كان نحو هذا التركيب مفيدا للحصر مع انه للاستثنا ايضا
لان المذكور بعد الا لا بد ان يكون مخرجا من شي قبلها
فان كان ما قبلها تاما لم يحتج الى تقدير والا فتعين ه
تقدير شي قبل الا يحصل الاخراج منه لكن انما احوج
الى هذا التقدير تصحيح المعنى فتبين من هذا المعنى الذي
قلناه ان المقصود في الكلام الذي ليس بتام انما هو
اثبات الحكم المنفي قبل الا لما بعدها وان الاستثنا ه
ليس بمقصود ولهذا اتفق النحاة على ان المذكور
بعد الا في نحو ما قام الا زيد معمول للعامل الذي قبلها
ولا شك ان المقصود من هذا التركيب الشريف امران
وهما نفي الالوهية عن كل شي سوى الله تعالى واثباتها
لله كما تقدم واذا كانت الا مسبوقة لمحض الاستثنا
لا يتم هذا المطلوب وايضا او ابدلنا وذلك انه لا
نصب ولا يبدل الا اذا كان الكلام الذي قبل الا
تاما بتقدير خبر محذوف وحينئذ ليس يحكم بالنفي على
ما بعد الا في الكلام الموجب والاثبات عليه في غير
الموجب محققا عليه اذ لا يقول بذلك الا من مذهبه ان
الاستثنا من الاثبات نفي ومن النفي اثبات ومن
ليس مذهبه ذلك يقول ان ما بعد الا مسكوت

عنه فكيف يكون قول لا اله الا الله توحيدا قلت وفيه
نظر لانه يكون توحيدا بحسب دلالة العرف وبانه
لا نزاع في ثبوت الالوهية لمولانا جل وعز لجميع
العقلا وانما كفر من كفر بزيادة اله اخر فنفي ما عداه
تعالى من الالهة على هذا هو المحتاج اليه وبه يحصل
التوحيد فتامله ثم قال ناظر الجيش بناء على ما ظهر له
من البحث الذي اعترضناه فتعين ان تكون الا في
هذا التركيب مسبوقة لقصد اثبات ما نفي قبلها لما
بعدها ولا يتم ذلك الا بان يكون ما قبلها غير تام بان
يقدر قبل الا خبر محذوف واذا لم يقدر خبر قبلها و
جب ان يكون ما بعدها هو الخبر وهذا الذي تركن
اليه النفس وقد تقدم تقدير صحة كون الاسم المعظم
في هذا التركيب هو الخبر قلت كلامه هذا يقتضي ان
الخلاف في كون الاستثنا من النفي اثبات ام لا لا يدخل الا
ستثنا المفرغ فيه وظاهر كلام الامام الرازي وكثير من
الاصوليين دخول ذلك الخلاف فيه ولهذا اورد على
القايل بان الاستثنا من النفي ليس باثبات انه يلزم
على ذلك ان لا يحصل التوحيد بكلمة الشهادة واجيب
بما ذكرناه من النظر قبل في بحث ناظر الجيش هذا اخر ما
يتعلق بفضل اعراب تركيب هذه الكلمة المشرفة على
اختصار وبالله تعالى التوفيق واما معنى هذه الكلمة

فلا

فلا شك انها محتوية على نفي واثبات فالمنفي كل فرد من
افراد حقيقة الاله غير مولانا جل وعز والمثبت من تلك
الحقيقة فرد واحد وهو مولانا جل وعز واوني بالالعقر
حقيقة الاله عليه تعالى بمعنى انه لا يمكن ان توجد تلك
الحقيقة لغيره تعالى لا عقلا ولا شرعا وحقيقة الاله
هو الواجب الوجود المستحق للعبادة ولا شك ان هذا
المعنى كلي اي يقبل بحسب مجرد ادراك معناه ان يصدق
على كثيرين لكن البرهان القاطع دل على استحالة التعدد
فيه وان معناه خاص بمولانا جل وعز فقط فالاسم المعظم
المذكور بعد حرف الاستثنا ليس هو بمعنى الاله فيكون
كليا بل هو جزئي علم دل على ذات مولانا جل وعز لا يقبل معنا
التعدد ذهنا ولا خارجا ولو كان معنى الله كمعنى الاله لزم
استثنا الشي من نفسه ولزم ان لا يحصل توحيد من
هذه الكلمة المشرفة وكذا لو كان معنى الاله جزئيا مثل
الاسم المعظم لزم ايضا استثنا الشي من نفسه التناقض
في الكلام باثبات الشي ثم نفيه والحاصل ان المعاني المقدرة
عقلا في هذه الكلمة باعتبار معنى المستثنى منه والمستثنى
اربعة ثلاثة منها باطلة والرابع ينقسم الى قسمين
احد قسميه باطل والاخر هو الذي يصح من الاقسام كلها
فالثلاثة الباطلة ان يكونا جزئيين او كليين او الاول
جزئيا والثاني كليا والرابع عكس الثالث وهو ان يكون

الاول كليا والثاني جزئيا وان كان المراد بالكلي الذي
هو الاله مطلق المعبود لم يصح لما يستلزم عليه من
الكذب لكثرة المعبودات الباطله وان كان المراد با
لاله المعبود بحق فهو صحيح فاذا لا يصح من هذه الاقسام
كلها الا ان يكون الاله كليا بمعنى المعبود بحق والاسم
المعظم علم للفرد الموجود المخ منه فالمعنى على هذا لا
يستحق المعبودية موجودا وفي الوجود الا الفرد الذي
هو خالق العالم جل وعلا وان شئت قلت في معنى الاله
هو المستغني عن كل ما سواه والمفتقر اليه كل ما عداه
وهو اظهر من المعنى الاول واقرب منه وهو اصل لان الاله
لا يستحق ان يعبد اي يذل له كل الا من كان
مستغنيا عن كل ما سواه ومفتقرا اليه كل ما عداه فظهر
ان العبادة الثانية احسن من الاولى وبها ينجلي اندراج
جميع عقايد الايمان تحت هذه الكلمة ويتسع بها
صدر المومن لفيضان المعارف ويكون على ساحل النجاة
والامن من كل خبط وقع في معنى هذه الكلمة المشرفة
ويدخل الضعيف والقوي في روضة هذه الكلمة
الشريفة يمرح في انهارها وينزه في سلسبيل انهارها
ويجتني من ثمار معارفها ويسمع من تغريد اطيارها
هذا منتهى ما كتب له ولهذا اخترنا في اصل المقدمة
التفسير بها لهاذه الكلمة الشريفة وقال المقترح في

من اسرار

الاسرار العقلية في معنى هذه الكلمة المشرفة ما نصه
ولفظ الاستثنا في الحقيقة لا يجري على ظاهرها
يفهمه كل قاصر من انه نفي واثبات اذ يلزم منه
هنا كفر وايمان وقد قال الفقها ان المقر بعشرة
الا ثلاثة مقر بسبعة لا بعشرة وينفي منها ثلاثة اذ
يلزم ان لا يقبل منه ذلك نعم للسبعة عبارتان سبعة
وعشرة الا ثلاثة لكن صيغة النفي ابلغ في افادة
معنى الوحدانية اذ يلزم منه نفي الكمية المتصلة
والمنفصلة انتهى قلت يعني بالكمية المتصلة التركيب
في ذات الاله جل وعز وبالكمية المنفصلة وجود اله
ثان منفصل مماثل وما ذكره من المعنى لدفع التناقض
في الاستثنا لا يتعين اذ قد اختلف علماء الاصول في تقرير
المعنى في نحو عشرة الا ثلاثة فقال الاكثرون المراد بعشرة
انما هو سبعة والا ثلاثة قرينة لارادة السبعة بالعشرة
المراد ارادة الجزء باسم الكل وقال القاضي ابو بكر
المجموع وهو عشرة الا ثلاثة بازاية سبعة كانه وضع
لها اسمان مفرد وهو سبعة ومركب وهو عشرة الا ثلاثة
وهذا هو القول الذي اختاره المقترح في كلمة الوحدانية
وقيل المراد بعشرة في هذا التركيب هو معنى عشرة باعتبار
افرادها كلها اعني السبعة والثلاثة معا ثم اخرجت الثلاثة
بالا فبقيت سبعة ثم اسند اليها الحاكم بعد الاخراج فلم

يلزم تناقض في الحكم اذ ثبوته انما هو للباقي
بعد الاخراج قيل وهذا القول هو الصحيح وادلة
ذلك كلها مستوفات في فن الاصول ولا عليك
يخفى تقرير هذه الاقوال كلها في كلمة الوحدانية وبالله
تعالى التوفيق اذ معنى الالوهية استغناء الاله عن
كل ما سواه وافتقار كل ما عداه اليه فمعنى لا اله الا الله
لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه الا الله تعالى
تقدم وجه اختيارنا لتفسير الكلمة المشرفة بهذا المعنى
فتفسيرنا معنى الالوهية على سبيل الافراد ثم رتبنا
عليه معنى التركيب في الكلمة المشرفة وذلك ظاهر
اما استغناؤه جل وعلا عن كل ما سواه فهو موجب
له تعالى الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث
والقيام بالنفس والتنزه عن النقائص ويدخل في
ذلك وجوب السمع له تعالى والبصر والكلام اذ لو لم يجب
له تعالى هذه الصفات لكان محتاجا الى المحدث او المحل او من يدفع عنه النقائص
لما ذكر ان معنى الالوهية التي انفرد بها مولانا جل
وعز يشتمل على معنيين احدهما استغناؤه جل وعلا
عن كل ما سواه والثاني افتقار كل ما عداه اليه جل وعلا
اخذ يذكر ما يندرج من عقائد الايمان تحت معنى
الاول واذا فرغ من كل ذلك يذكر ما يندرج منها
تحت المعنى الثاني وقوله ويدخل في ذلك وجوب السمع

له تعالى والبصر والكلام يعني يدخل في وجوب
تنزهه تعالى عن النقائص وجوب هذه الصفات
الثلاثة له تعالى لما عرفت فيما سبق ان الدليل
العقلي على اثباتها كون اضدادها نقائص وقولنا
بل وجب تنزهه عن النقائص باجماع العقلاء وقوله
اذ لو لم تجب له تعالى هذه الصفات الى اخره بين
بهذا الكلام وجه استلزام استغنائه تعالى لهذه
الصفات وذلك بلزوم ثبوت الحاجة لو انتفى جزء واحد من
٤٩ هذه الصفات اما الوجود والقدم والبقاء والمخالفة
للحوادث واحد جزئي معنى القيام بالنفس وهو الا
ستغناء عن المخصص فلا يخفى عليك بعد ان وصلت
الى هذا الموضع ان نفي كل واحد من هذه الصفات
الخمس يستلزم الحدوث وقد عرفت مما سبق ان كل
حادث مفتقر الى المحدث سواه وتعالى عن ذلك من
وجب له الغناء المطلق عن كل ما سواه فقولنا في
اصل العقيدة لكان محتاجا الى المحدث استدلال
على وجوب هذه الصفات الخمس له تعالى وقولنا
او المحل استدلال على وجوب الجزء الثاني من معنى
القيام بالنفس وهو الاستغناء عن المحل وقولنا
او من يدفع عنه النقائص استدلال على وجوب
التنزه له تعالى عن النقائص الذي يدخل فيه

وجوب السمع له تعالى والبصر والكلام ويوخذ منه
تنزهه تعالى من الاغراض في افعاله واحكامه والا لزم
افتقاره تعالى اليها لتحصيل غرضه كيف وهو جل وعلا
الغني عن كل ما سواه وكذا يوخذ منه ايضا انه لا
يجب عليه فعل شي من الممكنات ولا تركه اذ لو وجب
عليه تعالى شي منها كالثواب مثلا لكان جل وعز شي
مفتقرا الى ذلك ليتكمل به اذ لا يجب في حقه تعالى الا
ما هو كمال له كيف وهو الغني جل وعلا عن كل ما سواه
الغرض المنفي عنه تعالى عبارة عن وجود باعث يبعثه
تعالى على ايجاد فعل من الافعال او على حكم من الاحكام
الشرعية من مراعات مصلحة تعود اليه تعالى او الى
خلقه ولا خفا ان كلا الحالين مستحيل عليه الله تعالى
عز وجل عودها اما عودها اليه تعالى فلما يلزم عليه
من احتياجه تعالى ان يتكمل بمخلوقه واما عودها
الى خلقه فكذلك ايضا لما يلزم من دفع النقص عنه
تعالى بخلق المصلحة لخلقه تعالى عن ذلك ودفع
النقص كما التزم في هذا القسم الثاني احتياجه
جل وعلا عن ذلك الى مخلوق وهو المصلحة التي توجد
خلقه كالثواب ونحوه ليتكمل بها وتعالى عن ذلك
كله فمن وجب له الغناء المطلق تبارك وتعالى فقد
استبان ان افعاله جل وعز واحكامه لا علة لها

باعثة

باعثة وانما هي بمحض الاحسان وما راعى تعالى من
مصالح الخلق فبمحض فضله ولا حق لاحد عليه تعالى فاشرنا
في اصل العقيدة الى القسم الاول بقولنا يوخذ منه تنزهه
تعالى من الاغراض المقولة عن كل ما سواه واشرنا
الى القسم الثاني بقولنا وكذا يوخذ منه ايضا انه لا يجب
عليه فعل شي من الممكنات ولا تركه الخ واما افتقار كل
ما سواه اليه جل وعز فهو يوجب له الحياة وعموم
القدرة والارادة والعلم اذ لو انتفى شي من هذه لما
امكن تعالى ان يوجد تعالى شيئا من الحوادث فلا يفتقر
اليه جل وعز شي كيف وهو تعالى الذي يفتقر اليه كل ما سواه هذا شروع منه في ذكر
ما يندرج تحت المعنى الثاني الذي يتضمنه معنى الالوهية
ولا خفا ان وجوب الافتقار اليه يستلزم قدرته تعالى
على ايجاد الشي المفتقر فيه اليه وذلك يستلزم وجوب
اتصافه تعالى بالقدرة والارادة والعلم العامة لجميع
متعلقاتها لما عرفت فيما سبق ووجوب توقف تاثير القدرة
على الارادة والعلم ويستلزم ايضا وجوب اتصافه تعالى
بالحياة لوجوب توقف وجود تلك الصفات على صفة
الحياة ويوجب له تعالى الوحدانية اذ لو كان معه تعالى
ثان في الالوهية لما افتقر اليه شي للزوم عجزهما حينئذ
كيف وهو الذي يفتقر اليه كل ما سواه فتعلم لك في برهان الوحدانية ان
وجود اله ثان يستلزم عجزهما معا اتفقا او اختلفا

والعاجز لا يوجد شيئا فلا يفتقر اليه في شيء ويؤخذ
منه ايضا حدوث العالم باسره اذ لو كان شيء منه قديما لكان
ذلك الشيء مستغنيا عنه تعالى كيف وهو الذي يجب ان يفتقر اليه
كل ما سواه قد عرفت بالبرهان القاطع فيما سبق ان ما ثبت
قدمه استحال عدمه فلو كان شيء من العالم قديما
لكان ذلك شيء واجب الوجوب لا يقبل العدم
اصلا لا سابقا ولا لاحقا واذا كان لا يقبل العدم
لم يفتقر الى مخصص كيف وكل ما سواه تعالى مفتقر
اليه غاية الافتقار ابتداء ودواما فوجب اذا الحدوث
لكل ما سواه جل وعلا ويؤخذ منه ايضا ان لا تاثير لشيء
من الكائنات في اثرها والا لزم ان يستغني ذلك الاثر عن
مولانا جل وعز كيف وهو الذي يفتقر اليه كل ما سواه
عموما وعلى كل حال هذا ان قدرت ان شيئا من الكائنات
يؤثر بطبعه واما ان قدرت انه مؤثر بقوة جعلها الله تعالى
فيه كما يزعمه كثير من الجهلة فذلك ايضا لانه يصير
حينئذ مولانا جل وعز مفتقرا في ايجاد بعض الافعال الى
واسطة وذلك باطل لما عرفت من وجوب استغنائه جل وعز عن كل ما سواه
لا شك انه لو خرج عن قدرته تعالى ممكن ما لم يكن ذلك
الممكن مفتقرا اليه تعالى بل انما يفتقر الى من اوجده
كيف وكل ما سواه مفتقر اليه تعالى غاية الافتقار
وبهذا يبطل مذهب القدرية القائلين بتاثير القدرة

جل وعز

الحادثة

١٥

الحادثة في الافعال مباشرة وتولدا ويبطل مذهب الفلاسفة
القائلين بتاثير الافلاك والعلل ويبطل مذهب الطبائعيين
القائلين بتاثير الطبائع والامزجة ونحوها ككون الطعام يشبع
والماء يروي وينبت ويطهر وينظف والنار تحرق والثوب
يستر العورة ويقي الحر والبرد ونحو ذلك مما لا ينحصر وهم
في اعتقادهم التاثير لتلك الامور مختلفون فمنهم من
يعتقد ان تلك الامور تؤثر في تلك الاشياء التي تقارنها
بطبعها وحقيقتها قال ابن دهاق ولا خلاف من يعتقد
هذا ومنهم من يعتقد ان تلك الامور لا تؤثر بطبعها بل
بقوة اودعها الله تعالى فيها ولو نزعها منها لم تؤثر قال ابن دهاق
وقد تبع الفيلسوفي على هذا الاعتقاد كثير من عامة
المؤمنين ولا خلاف في بدعة من اعتقد هذا وقد اختلف
في كفره والمؤمن المحقق الايمان من لم يسند لها تاثيرا البتة
لا بطبعها ولا بقوة وضعت فيها وانما مولانا جل وعز اجرى
العادة بمحض اختياره ان يخلق تلك الاشياء عندها
لا بها ولا فيها فهذا بفضل الله ينجو من جميع مهالك الدنيا
والاخرة واكثر ما اغتر به المبتدعة العوائد التي اختارها
الله تعالى جل وعلا وظواهر من الكتاب والسنة لم يحيطوا
بعلمها والى ضلالات عدتهم التقليد لما لا يصلح تقليده
ولا الاقتداء به من عوائد وغيرها وتركوا الانظار
الزكية العقلية المستضيئة بانوار الكتاب والسنة
ولهذا قيل ان اصول الكفر ستة الايجاب الذاتي والتحسين
العقلي والتقليد الردي والربط العادي والجهل المركب
والتمسك في اصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة

بالجهل

بالجهل بادلة العقول وعدم الارتياض باساليب القلوب وما
تقرر من العربية والبيان من ضوابط واصول فالايجاب
الذاتي هو اصل كفر الفلاسفة حيث جعلوا الذات العلية
فاعلة بمقتضى الايجاب الذاتي هي علة للممكن المستند اليها
من غير اختيار فقالوا لاجل ذلك بنفي القدرة والارادة
وسائر الصفات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقالوا لاجل
ذلك في قدم العالم والغوا البراهين القطعية الدالة
على حدوثه ولا خفاء انك اذا حققت بما سبق وجوب
الحدوث للعالم ووجوب القدم والبقاء لمولانا جل
وعز عرفت قطعا ان صدور العالم عنه تعالى انما
هو بمحض الاختيار لا بالايجاب والتعليل والا
كان العالم قديما او فاعله حادثا لوجوب
مقارنة المعلول لعلته وكلا الامرين مستحيل
قطعا والتحسين العقلي اصل كفر البراهمة
من الفلاسفة حتى نفوا النبوات واصل
ضلال المعتزلة حتى اوجبوا على الله مراعاة
الصلاح والاصلح لخلقه وعللوا افعاله واحكامه
بالاغراض وجعلوا العقل يتوصل وحده دون
شرع الى احكامه تعالى الشرعية الى غير ذلك من
الضلالات

الضلالات والتقليد الردي هو اصل كفر عبدة الاوثان
وغيرهم حتى قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مقتدون ولهذا قال المحققون لا يكفي التقليد في
عقائد الايمان قال بعض المشايخ لا فرق بين مقلد ينقاد
وبهيمة تنقاد والربط العادي هو اصل كفر الطبائعيين
ومن تبعهم من جهلة المؤمنين فانهم راوا ارتباط
الشبع بالاكل والري بالماء وسترة العورة بلبس الثياب
والضوء بالشمس ونحو ذلك مما لا ينحصر ففهموا من جهلهم
ان تلك الامور هي المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها
اما بطبعها واما بقوة وضعها الله تعالى فيها واهل السنة
رضي الله تعالى عنهم ونور بصائرهم لم يفتتنوا بشيء
من الاكوان وكوشفوا بالحقائق على ما هي عليه في نفس
الامر وهذه هي المكاشفة التي يخص الله تعالى بها
اولياءه حتى يخلصهم بها من افات الكفر والبدع في اصول
العقائد واما المكاشفة بغير هذا مما لا يلتفت اليها
الموفقون واما الجهل المركب فهو مما ابتلي به كثير
فتجدهم يعتقدون الشيء على غير ما هو عليه وذلك
جهل ثم يجهلون انهم جاهلون وذلك جهل اخر ولهذا
يسمى جهلا مركبا كاعتقاد الفلاسفة التاثير للافلاك
واعتقادهم قدمها وهذه جهالة عظيمة ثم هم جاهلون
بهذا الجهل منهم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم

الكاذبون والتمسك في عقايد الايمان بظواهر الكتاب
والسنة من غير بصيرة في اصل العقل هو اصل ضلالة
الحشوية فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملا بظاهر
قوله تعالى على العرش استوى ءامنتم من في السماء لما
خلقت بيدي ونحو ذلك قال الله تعالى هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله اللهم
اكتبنا في زمرة اوليك الناجين من كل فتنة دينا واخرى
يا رب العالمين يا ارحم الراحمين فقد تبين لك تضمن قول
لا اله الا الله للاقسام الثلاثة التي تجب على المكلف معرفتها
في حق مولانا جل وعز وهي ما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل
لاخفا في صدق ما ذكره وتتبع كلامه بالاستقرا يشهد
له وليس الخبر كالعيان واما قولنا محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيدخل فيه الايمان بساير الانبيا والملايكة
عليهم الصلاة والسلام والكتب السماوية لانه صلى
الله عليه وسلم جاء بتصديق ذلك جميعه
لا شك ان تصديق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم في رسالته بحسب ما دلت عليه معجزاته التي لا حصر
لها والاقرار بذلك يستلزم التصديق بكل ما جا به عليه
الصلاة والسلام ومن جملة ما اتى به ما ذكر هنا وكذا

وغير ذلك مما لا ينحصر كالبعث لعين هذا البدن لا
لمثله اجماعا وفتنة القبر وعذابه والصراط والميزان
والحوض والشفاعة ونحو ذلك مما يطول تتبعه وهو
مفصل في الكتاب والسنة وتواليف علما الشريعة
ويوخذ منه وجوب صدق الرسل عليهم الصلاة وا
واستحالة الكذب عليهم الصلاة والا لم يكونوا رسلا امنا
لمولانا العالم بالخفيات واستحالة فعل المنهيات كلها
لانهم ارسلوا ليعلموا الخلق باقوالهم وافعالهم وسكوتهم فيلزم الا
يكون في جميعها مخالفة لامر مولانا جل وعز الذي اختارهم على جميع الخلق وامنهم على سر وحيه
لا شك ان اضافة الرسول الى الله تعالى تقتضي
ان الله تعالى اختاره لرسالته كما اختار اخوانه
المرسلين لذلك وقد علمت ان علمه بذلك محيط بلا
نهاية لزوال الجهل وما في معناه مستحيل عليه سبحانه
تعالى فيلزم ان تصديقه تعالى لهم مطابق لما علمه
الله تعالى منهم من الصدق والامانة فيستحيل ان
يكونوا في نفس الامر على خلاف ما علمه الله تعالى
منهم وقد امر الله تعالى بالاقتداء بهم عليهم الصلاة
والسلام في اقوالهم وافعالهم فيلزم ان يكونوا في
جميعها على وفق ما يرضاه مولانا جل وعز وهو
المطلوب ويوخذ منه ايضا جواز الاعراض البشرية عليهم
اذ ذلك لا يقدح في رسالتهم وعلو منزلتهم بل ذلك مما

يزيد فيها فقد اتضح لك تضمن كلمتي الشهادة مع قلة
حروفها لجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقايد الايمان
في حقه تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام
لا شك ان من هذه الكلمة الشريفة انما ثبت له صلى الله
عليه وسلم الرسالة لا الالوهية ودخل في معناه اثبات الرسالة
لاخوانه المرسلين فلا يمتنع في حقهم عليهم الصلاة والسلام
الا ما يقدح في رتبة الرسالة ولا يخفى ان تلك الاعراض البشرية
من الامراض ونحوها لا تحط شيئا من مراتب الانبياء والرسل
عليهم الصلاة والسلام بل هي مما تزيد فيها باعتبار تعظيم
اجرهم من جهة ما يقارنها من طاعة الصبر وغيره وفيها
ايضا اعظم دليل على صدقهم وانهم مبعوثون من عند الله
تعالى وان تلك الخوارق التي ظهرت على ايديهم هي محض
خلق الله تعالى لا تصرف لهم فيها اذ لو كانت لهم قوة على
اختراعها لرفعوا عن انفسهم ما هو ايسر منها من الامراض
والجوع والحر والبرد ونحو ذلك مما سلم منه كثير ممن لم
يتصف بالنبوة وفيها ايضا رفق بضعفاء العقول
لئلا يعتقدوا فيهم الالهية بما يرون لهم صلوات الله
وسلامه عليهم جميعهم من الخوارق والخواص التي خصهم
الله تعالى بها ولهذا استدل بقوله تعالى في الرد على النصارى
في قولهم بالالهية عيسى وامه عليهما السلام بافتقارهما الى
الاعراض البشرية من اكل الطعام ونحوه فقال تعالى لقد كفر

الذين

الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم الى قوله تعالى ما
المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام فسبحانه ما اعظم لطفه
بخلقه جعلنا الله تعالى ممن علم فعمل وعمل فخلص واخلص
فدام على ذلك الى الممات ونجا من كل هول وتخلص قوله فقد
اتضح الى اخره كلام حق شاهده معه ولعلها لاختصارها
مع اشتمالها على ما ذكرته جعلها الشرع ترجمة
على ما في القلب من الاسلام ولم يقبل
من احد الايمان الا بها
لا شك انه عليه الصلاة والسلام قد خص بجوامع الكلم فنجد
في كل كلمة من كلامه من الفوايد ما لا ينحصر فاختار لامته
في ترجمة الايمان وما يرجون به في الجنان حيث شاء وهذه
الكلمة الشريفة السهلة حفظا وذكرا الكثيرة المفضلة جمع
ذلك لهم كله في حروف هذه الكلمة المنيعة وتمكنوا من ذكر عقايد
الايمان كلها بذكر واحد خفيف على اللسان ثقيل في الميزان
ذي قدر لا يحاط به عند المولى الكريم العظيم الاحسان
ثم كل عقيدة من عقايد الايمان لمن عرفها سيف صارم
يقطع به ظهر ابليس واعوانه ويقدح في القلب نورا
ساطعا يكشف عنه ظلمة الاوهام ويغسل منه ادرانه
فمن تحصل للمرء هذه الكلمة المشرفة جامعا لسيوف
العقايد كلها محصلة لانواع المعارف كلها باجمعها فهو ذكر

واحدٌ في اللفظ وفي الحقيقة فهو اذكار كثيرة يقضي
العارف بذكرها مرةً واحدةً مالا يقضيه غيره الا في ازمان
متطاولة ثم تنبه ايها المومن لعظيم رحمة الله تعالى
وانعامه علينا بهذه الكلمة الشريفة التي لا يعلم عامة
الناس عظيم قدرها الا بعد الموت وفي الاخرة هو
انّ المكلف انما ينجو من الخلود في النار اذا اتصف في
اخر حياته بعقايد الايمان التي تتعلق بالله تعالى و
برسله عليهم الصلاة والسلام والغالب عليه في ذلك
الوقت الهايل الضعف عن استحضار جميع عقايد الا
يمان مفصلةً فعلمه الشرع بمقتضى الفضل العظيم
هذه الكلمة السهلة العظيمة القدر حتى يذكرها
من غير مشقة تناله في ذلك الوقت الضيق الهايل
جميع عقايد الايمان بلسانه او قلبه واكتفى منه في هذا
الوقت الضيق بمجرد ذكرها مجملةً اذ طال ما ذكرها قبل
ذلك على لسانه وقلبه مفصلةً ولهذا قال النبي صلى
الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وقال من مات وهو يعلم لا اله الا الله دخل
الجنة فالاول فيمن يستطيع النطق والثاني فيمن لا
يستطيع النطق والله اعلم وكذا ايضا له ان يكتفي في
جواب الملكين الكريمين في القبر بمجرد هذه الكلمة
المشرفة حيث يمنعه مانع الهيبة والخوف من ذكر

عقايد

عقايد الايمان لهما مفصلة وقد ورد انهما يجتزيان
منه بذلك وكيف لا يجتزيان منه بهذا الجواب العظيم
وقد ذكر لهما المومن في هذه الكلمة مع اختصارها جميع
عقايد الايمان على التمام فما اوسع كرم مولانا جل
وعز على المومنين واغزر نعمه والطف حكمه جعلنا الله
سبحانه ممن عرف قدر نعمه فشكرها وممن شكرها
فقبل منه ذلك الشكر ووجد عظيم بركتها دينا واخرى
بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فعلى
العاقل ان يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت
عليه من عقايد الايمان حتى تمتزج مع معناها
بلحمه ودمه فانه يرى لها من الاسرار والعجايب ان
شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر وبالله تعالى
التوفيق لا رب غيره نسأله الله سبحانه ان يجعلنا
واحبتنا عند الموت من الناطقين بكلمتي الشهادة
عالمين بها وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره
وذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره وذكره
الغافلون ورضي الله عن اصحاب رسول الله
اجمعين وعن التابعين وتابع التابعين والايمة
الايمة المجتهدين ومقلديهم وعن مشايخنا و
والدينا اجمعين قد ان لنا ان نذكر في شرح هذه
الجملة الفصول الاربعة التي كنا وعدنا بذكرها

٥٥

مضى

وهي بقية الفصول السبعة المتعلقة بهذه الكلمة
المشرفة اما الفصل الاول من الفصول الاربعة
ففي بيان حكم هذه الكلمة فاعلم ان الناس على ضربين
مومن وكافر اما المومن بالاصالة فيجب ان يذكرها
مرة بالعمر ينوي في تلك المرة بذكرها الوجوب فان
ترك ذلك فهو عاص وايمانه صحيح ثم ينبغي له ان
يكثر من ذكرها بعد اداء الواجب كما اشرنا الى ذلك
بقولنا في اصل العقيدة فعلى العاقل ان يكثر من ذكرها
ليعرف معناها او لا فينتفع بذكرها دينا واخرى واما
الكافر فذكره لهذه الكلمة واجب شرط في صحة ايمانه
القلبي مع القدرة وان عجز عن ذكرها بعد حصول ايمانه
القلبي لمفاجاة الموت له ونحو ذلك سقط عنه الوجوب
وكان مومنا هذا هو المشهور من مذاهب علماء اهل السنة
وقيل لا يصح الايمان الا بها مطلقا ولا فرق في ذلك
بين المختار والعاجز وقيل يصح الايمان بدونها مطلقا
وان كان التارك لها اختيارا عاصيا كما في حق المومن
بالاصالة اذا نطق بها ولم ينو الوجوب ومنشا هذه
الاقوال الثلاثة الخلاف في التلفظ بهذه الكلمة المشرفة
هل هو شرط في الايمان او جزء منه او ليس شرطا فيه ولا
جزءا منه والاول هو المختار واما الفصل الثاني من الا
ربعة ففي بيان فضلها فاعلم انه لو لم يكن في بيان فضلها

الا كونها علما على الايمان في الشرع تعصم الدما والاموال الا
بحقها وكون ايمان الكافر موقوفا على النطق بها لكان كافيا
1 للعقلا كيف وقد ورد في فضلها احاديث كثيرة فمنها قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي
لا اله الا الله وحده لا شريك له رواه مالك في الموطا زاد
الترمذي في رواية له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير وروى هو والنسايي انه صلى الله عليه وسلم قال افضل
الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله وروى النسايي
انه صلى الله عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام يا رب
علمني ما اذكرك به وادعوك به فقال يا موسى قل لا اله الا
الله قال موسى يا رب كل عبادك يقولون هكذا قال قل لا
اله الا الله قال لا اله الا انت انما اريد شيا تخصني
به قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري
وعمارهن
والارضين السبع وضعا في كفة ولا اله الا الله في كفة
لمالت بهن لا اله الا الله وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوتى برجل الى الميزان ويوتى بتسعة وتسعين سجلا
كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع
في كفة الميزان ثم يخرج بطاقة بقدر الانملة فيها
شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله فتوضع في
الكفة الاخرى فترجح بخطاياه وذنوبه وروى الترمذي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التسبيح نصف الايمان

و الحمد لله تملأ الميزان و لا اله الا الله ليس لها دون
الله حجاب حتى تخلص اليه وقال صلى الله عليه وسلم ما قال
احد لا اله الا الله مخلصا من قلبه الا فتحت له ابواب
السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر
وقال صلى الله عليه وسلم لابي طالب يا عم قل لا اله الا
الله كلمة احاج لك بها عند الله وقال صلى الله عليه
وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وقال صلى الله عليه وسلم اتاني آت من ربي فاخبرني
ان من مات وهو يشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له فله الجنة فقال ابو ذر وان زنى وان سرق
قال وان زنى وان سرق وقال صلى الله عليه وسلم من
دخل القبر بلا اله الا الله خلصه الله من النار وقال
صلى الله عليه وسلم اسعد الناس بشفاعتي يوم
القيامة من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه
وقال صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم
ان لا اله الا الله دخل الجنة وعن عتبان ابن مالك
قال غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا اله الا الله يبتغي
بها وجه الله الا حرمه الله على النار وعنه صلى الله
عليه وسلم لا اله الا الله مفتاح الجنة وروى انس ان لا اله

الا

الا الله ثمن الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من لقن
عند الموت لا اله الا الله دخل الجنة وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لقنوا موتاكم بلا اله الا الله فانها تهدم
الذنوب هدما قالوا يا رسول الله فان قالها في حياته
قال هي اهدم واهدم وفي مسند البزار عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قال لا اله الا الله نفعته يوما من دهره اصابه
قبل ذلك ما اصابه وفي الاحياء وقال صلى الله عليه
الصلاة والسلام لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا
بقراب الارض ذنوبا غفر له ذلك وفيه ايضا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة
في قبورهم ولا في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة
ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفيه ايضا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا لابي هريرة رضي
الله عنه يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم
القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في
ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت
السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا
الله ارجح من ذلك وفيه وقال من قال لا اله الا الله مخلصا
دخل الجنة وقال لتدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد

عن الله شرود البعير عن اهله فقيل يا رسول الله من
الذي يابى فقال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من
قول لا اله الا الله من قبل ان يحال بينكم وبينها فانها
كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى
وهي كلمة طيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي ثمن الجنة وفيه وقال تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا
اله الا الله وفي الاخرة الجنة وكذلك للذين
احسنوا الحسنى وزيادة ثم يروى ان العبد اذا
قال لا اله الا الله محمد رسول الله اتت الى الكلمة
الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة
مثلها فتجلس الى جنبها وفي كتاب عبد الغفور
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان لله عمودا من نور بين يدي العرش فاذا
قال العبد لا اله الا الله اهتز ذلك العمود فيقول
الله تبارك وتعالى اسكن فيقول كيف اسكن ولم
تغفر لقائلها فيقول قد غفرت له فيسكن عند
ذلك وفيه عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله او
صني قال اوصيك بتقوى الله فاذا عملت سيئة فاتبعها
بحسنة تمحها قال قلت يا رسول الله امن الحسنات لا
اله الا الله قال هي افضل الحسنات وفيه عن كعب الاحبار

واوحى

واوحى الله الى موسى في التورات لولا من يقول لا اله
الا الله لسلطت جهنم على اهل الدنيا وفيه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله
ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة لكل ذنب اصابه
في ذلك اليوم وفيه وذكر ابن ابي الفضل الجوهري
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة سمعوا اشجارها وانهارها
وجميع ما فيها يقولون لا اله الا الله فيقول بعضهم
لبعض كلمة كنا نغفل عنها في دار الدنيا وفيه
وحدث ايضا قال يهتز العرش لثلاث لقول المومن
لا اله الا الله ولكلمة الكافر اذا قالها وللغريب
اذا مات بارض غربة وعن بعض الصحابة رضي
الله عنهم من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه
ومدها بالتعظيم غفر له اربعة الاف ذنب من
الكبائر قال فان لم تكن له هذه الذنوب فاغفر
له من ذنوب ابويه واهله وجيرانه وذكر القاضي
عياض في المدارك عن يونس بن عبد الاعلى انه
اصابه شيء فرأى في المنام قايلا يقول له اسم الله
الاكبر لا اله الا الله فقالها ومسح ما اوجعه
فاصبح معافا وذكر ابن الفاكهاني ان ملازمة ذكرها
عند دخول المنزل ينفي الفقر وفضل هذه الكلمة كثير لا
يمكن استقصاؤه ولهذا اختار الايمة ملازمة هذا

٦٥

الذكر في كل حال حتى ان منهم من لا يفتر عنه ليلا
ولا نهارا ومنهم من يذكره بين اليوم والليلة سبعين
الف مرة واهل التشتت والمشتغلين بالحاجة
والخدمة والضايع اثنا عشر الفا وروي ان من
قالها سبعين الف مرة كانت فداه من النار وقد ذكر
الشيخ ابو محمد عبد الله ابن اسعد اليافعي اليمني
الشافعي في كتاب الارشاد والتطريز عن الشيخ
ابي زيد القرطبي انه قال سمعت في بعض الاثار ان
من قال لا اله الا الله سبعين الف مرة كانت فداه
من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد عملا
ادخرها لنفسي وعملت منها لاهلي وكان اذ ذاك يبيت
معنا شاب كان يقال انه يكاشف في بعض الاوقات
بالجنة والنار وكان في قلبي منه شيء فاتفق ان استدعانا
بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام
والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه
وهو يقول يا عمي هذه امي في النار وهو يصيح بصياح
عظيم لا يشك من سمعه انه عن امر فلما رايت ما به
قلت في نفسي اليوم اجرب صدقه فالهمني الله
السبعين الفا لم يطلع على ذلك احد الا الله
فقلت في نفسي اللهم ان كان الاثر حقا والذين رووه
لنا صادقون اللهم ان السبعين الفا فداء هذه

في فضل ذكرها وتهدة كتابة الوزير ح

٥٩

المراة ام هذا الشاب فما استتمت الخاطر في نفسي الا ان
قال يا عمي ها هي خرجت والحمد لله فحصلت لي فايدتان
ايماني بصدق الاثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه
انتهى والى التحريض على التكثير من هذه الكلمة ٢ ذكر
المباركة المشرفة ليفوز الذاكر بعظيم فضلها اشرت بقولي
في اصل العقيدة فعلى العاقل ان يكثر من ذكرها لما كانت
تحقيق هذا الخبر العظيم لذاكر هذه الكلمة موقوف على
فهم معناها اولا ثم استحضاره عند ذكرها ولو بطريق
الاجمال ثانيا قيدت في اصل العقيدة ذكرها بقولي
مستحضرا لمعناها بعد ان شرحت لك معناها في
اصل العقيدة شرحا لمراد من يسمح به على تلك الصيغة
المذكورة فيها على حسب ما الهم المولى الجليل
جل جلاله فاشرح بامن من الله عليه بفضله بحفظ
هذه العقيدة المباركة ان شاء الله في رياض
الجنة حيث شئت وكيف شئت نساله سبحانه ان
يجعلنا واياك في الدنيا والاخرة من خيار اهل لا اله
الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفصل الثالث
من الفصول الاربعة في بيان كيفية ذكر هذه الكلمة
المشرفة على الوجه الاكمل فاعلم ان ذاكر هذه الكلمة على
كل حال يقصد القربة يحصل له الثواب لكن الاكمل
الذي ترد به على القلب المواهب الالهية والفتوحات

الربانية الذي يقصر عنها الوصف ان يعظم الذاكر
ما عظم الله تعالى وان يحسن ادبه مع ما شرف الله
تعالى وقد علمت ان هذه الكلمة من افضل الاذكار
واشرفها عند مولانا جل وعز فينبغي للمومن ان يعتني
شانها يتوضا لها ويلبس ثيابا طاهرة ويقصد
موضعا طاهرا كما يقصد للصلاة وليتحرى الخلوة
والانفراد عن الخلق ما استطاع ويقصد الازمنة
المشرفة كما بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد العصر
الى الغروب وما يتمكن منه من بعض ذلك وبين العشا
بين الى السحر ثم يستقبل القبلة وليفتتح ورده بالا
ستغفار ولو مائة مرة ليغسل باطنه من ادران
المعاصي ليتهيا للتحلية بما يرد عليه بعد ذلك من
انوار بقية اوراده ثم ليتبع اثر ذلك صلاة على
النبي ولو خمساية ليستنير بها باطنه ويتهيا لحمل ما
يرد عليه من سر التهليل وليقصد بذلك كله امتثال
امر الله سبحانه وتعالى وطلب رضاه الذي يعنيه على
احضار قلبه وقصد القربة فهذا الاذكار ان يذكر
على قلبه امر مولانا جل وعز بكل واحد منها ليستغر
قلبه هيبة الامر لمعرفة من صدر منه وكيفية ذكر ذلك
على القلب ان يتعوذ اولا بالله من الشيطان
الرجيم قاصدا التلاوة لقوله تعالى واذا قرات القران

فاستعذ

فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم ليتلو اثر التعوذ
قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله
هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم فاذا فرغ من تلاوة هذه الاية استشعر القلب
عند ذلك خطاب المولى الكريم جل جلاله وطلبه بفضله
من العبد الفقير الحقير الاستغفار واللجا الى مولاه
الرحمن الرحيم العزيز الغفار فذاب عند ذلك
من شدة الحيا من المولى الكريم واحتقر نفسه اذ لم يرها
اهلا للخطاب من اوجد الكائنات كلها وافتقر جميعها
اليه وهو الغني بالاطلاق ذو الفضل العظيم فعند
ذلك يبادر بلسانه وهو يرعد من شدة الهيبة
والخجل والتعظيم قائلا لبيك مولاي وسعديك والخير
كله اليك وفي يديك وهذا عبدك الذليل الحقير الضعيف
الذي عليك معوله في ظاهره وباطنه وظاهره يقول
امتثالا لامرك ومستغيثا بك اللهم اني استغفرك
يا مولاي واتوب اليك من جميع الكبائر والصغائر
وهفوات الخواطر ونحو ذلك من عبارات الاستغفار
وليتحر منها ما يراه قوي التاثير في باطنه ثم يتمادى
حتى يتم ورده من الاستغفار فاذا اتم حمد الله تعالى
ثلاثا او سبعا ونحو ذلك مستحضرا قدر النعمة التي
وفقه المولى الكريم لبدءها وتمامها حتى غسل من

القلب ادرانه وكشق عنه دخان الذنب ورانه
يقول في هبة ذلك الحمد لله الذي انعم علينا بنعمة
الأيمان والاسلام وهدانا بسيدنا ومولانا محمد
عليه من الله تعالى افضل الصلاة وازكى السلام
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله ثم ليشرع اثر ذلك في التعوذ على ما
سبق وليتلوا اثره على قلبه قوله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما فعند ذلك يستحضر القلب
عظيم شرف سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
عند الله تعالى وانه حاز عنده منزلة لا يمكن ان تلحق
اذ مولانا جل وعز على ما هو عليه من الاجلال
يخبر بانه يصلي بنفسه على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم وكذلك ملائكته الكرام عليهم الصلاة والسلام
على ما هم عليه من الكثرة والشرف يتوسلون الى الله
تعالى على حبيبه ومصطفاه من جميع خلقه صلى
الله عليه وسلم فيفرح عند ذلك العبد الضعيف
الفقير اذ تفضل عليه مولانا الكريم بان ادخله
بهذا الخطاب الجسيم وما احتوى عليه من الامر
العظيم في روضاة التقرب الى حبيبه وافضل خلقه
عنده عليه من مولانا جل وعلا افضل الصلاة وازكى
السلام فيخبز بيادر دبلة وهو يبتهج فرحا العظيم
فضل الله عز وجل اذ فتح له الباب الى التوصل منه
الى

الى اعظم الوسايل عنده سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم فقال مجيبا لهذا الامر الجليل لبيك مولاي
وسعديك والخير كله في يديك وها هو العبد الفقير
الحقير اتى لمنيع جنابك متوسلا اليك بافضل احبابك
محمد صلى الله عليه وسلم بقوله بتوفيقك ممتثلا لامرك
ومستعينا بك في جميع اموره اللهم صل على سيدنا
محمد رسولك ودليلك صلاة ارقى بها مراقي الخلاص
وانال بها غاية الاختصاص وسلم تسليما عدد ما احاط
به علمك واحصاه كتابك او غير ذلك من كيفيات
التصليات التي تليق بحاله ثم يتمادى على ذلك
مستحضرا لصورته صلى الله عليه وسلم التي ليس في المخلوقات
مثلها في الجمال مستشعرا اعظم حرمته عند العلي ذي
الجلال ذاكرا لعظيم شفقته ورافته بالمومنين وشدة
اهتماله بهم في حياته وبعد مماته والسعي في مراشدهم
وانقاذهم من كل هول دنيا واخرى صلى الله وسلم عليه
وعلى ساير انبيايه ورسله اجمعين لينزل بذلك عظيم محبته
في قلبه وتتشعشع انوار حسن الاتباع في ظاهره ولبه
فاذا فرغ من ورده في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
حمد الله تعالى ايضا على التوفيق لبدي ذلك وتمامه
ليقيد بالشكر هذه النعمة العظمى خشية السلب عليها
واقل ذلك ثلاث او سبع ثم ليشرع اثر ذلك ايضا في

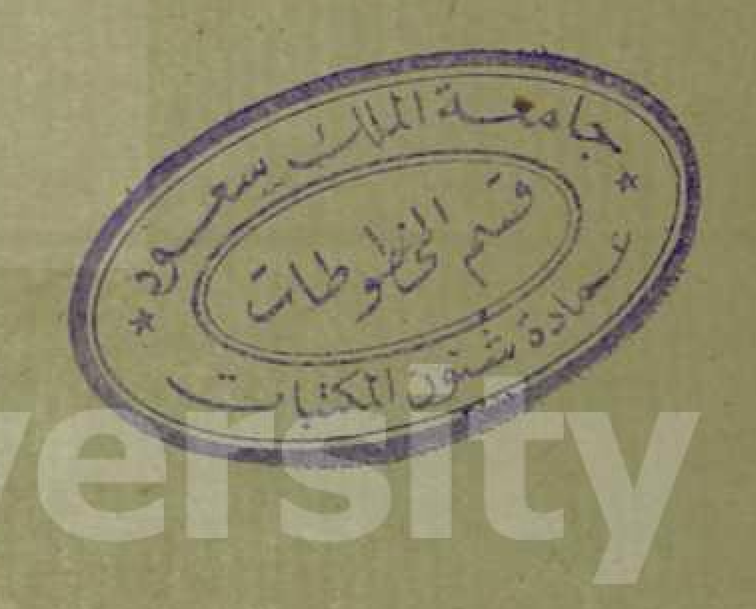
التعوذ قاصدًا للتلاوة ثم ليتلوا اثر قوله تعالى فاعلم انه
لا اله الا الله ثم ليجب امر مولانا العزيز بقوله ٥
لبيك مولاي وسعديك والخير كله في يديك وها هو
العبد الفقير يوحدك بالتهليل منخلعًا من كل
شرك ومن كل تغير وتبديل بقولهم مخلصًا من قلبه
ذاكرا لربه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحاضر ورتبته من التهليل وبعد التعوذ
والتلاوة في اول كل وردٍ منها وان اجتزى في
المرة الاولى فلا باس وليحافظ الذاكر على
احضار قلبه لتعظيم انوارهم ويحصل له الحرية ٥
العظمى من رقة لشي من الكائنات ويتحلى بالرتبة
العليا والشرف الاسنى باسناده علما وحالا ظاهرا
وباطنا الى مولاه المنفرد بالملك والتدبير الذي لا
نافع ولا ضار سواه على العموم تبارك وتعالى فنعم ٥
المولى ونعم النصير لهذا كانت هذه الكلمة المشرفة
جامعة بين التحلية والتخلية فيجلي قلب الذاكر اولا
من جميع الاغيار قلبه ويطرح منه جميع الخواطر الوهمية
وجميع الكائنات الذي استبعدته من جاه ومال
ونساء وبنين ودينار ودراهم ومدح وذم ونحو
ذلكم بقوله لا اله الا الله اي ليس ثم سوا مولانا
جل وعز من جميع الكائنات على العموم ومن هو غني

[illegible]

في نفسه او يفتقر اليه في ايرما حتى يستحق ان يعبد
ويطاع او يخاف او يعول عليه في اثر ما بل جميعه عاجز
تم العجز عن ايصال امر ما الى او الى غيره فوجب طرده ٥
جميعها من القلب لان وجودها كعدمها بلا شك ولا
ريب وما وجد مع بعض تلك الامور المخلوقات كا
لطعام والشراب والمياه والثياب والنساء والبنين
والاموال والنيران والسلاح والاسود والحياة والظلمات
والجنة والنار من المصالح واللذات او من المفاسد ٥
والالام فليس للمومن ان يلتفت الى شي منها اصلا
ولا يعول عليها في شي من ذلك ولا في غيره فالالتفات
الى شي منها عمى وظلمة عظيمة وشرك قوي وخصلة ذميمة
وقذر شديد النتن يجب المبالغة في غسله من البال
ليتهيا القلب للتحلي بالنور الزكي اللامع من معرفة
العلي الاعلى ذي الجلال فلما غسل الذاكر قلبه بذلك
النفي القوي العام وصلى على الكونين صلاة الميت
اربعًا وختم بالسلام عليهم حسنت بزينة الدخول في
حضرة الملك العلام فقال قول المضطر الاواه اليائس
يائسًا قطعا دائما من كل ما سوى مولاه اثر نفي لا اله
الا الله ولما ابتهج قلبه بنور الحقيقة وكان الانتفاع
بها موقوفا على القيام برسوم الشريعة وذلك لا يكون
الا بالايمان على ذكر صاحبها المبلغ لها عن الله تعالى

سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم احتاج الذاكر
بعد كلمة التوحيد الدالة على الحقيقة ان يشفعها
باثبات رسالة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
ليحفظ نور توحيده بادخاله في منيع حرز حفظ
الشريعة فلهذا يقول الذاكر لا اله الا الله محمد رسول
الله وهكذا ينبغي في كل ذكر من اذكار الله تعالى ان لا
يغفل فيه المؤمن عن ذكر سيدنا ومولانا محمد صلى
الله عليه وسلم بان يصلي عليه اثره او يقر برسالته
مع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم او نحو ذلك مما يوجب
تعظيمه والتمسك باذياله اذ هو صلى الله عليه وسلم
باب الله الاعظم الذي لا ينال كل خير دنيا واخرى الا
بالتعلق به فمن غفل عن ذكره صلى الله عليه وسلم لم ينل
مقصوده وكان مرمي به في سحيق القطيعة محروما
من خيري الدنيا والاخرة وسيدنا ومولانا محمد صلى
الله عليه وسلم هو باب الخلق الى الله تعالى فكيف
يصل الى الله تعالى من غفل عن ذكر دليله وقد قال
بعض من طبع الله على قلبه ممن يتعاطى التصوف
وليس هو من اهله مقالة قريبة من الكفر او هي
الكفر بعينه ان الاكثار من ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم حجاب عن الله تعالى وبسط بعض
الضالين مثل هذه العبارة فقال ان افراد

التهليل



التهليل على اثبات الرسالة ابلغ واسرع في تاثير معنى
التوحيد واحتج لضلاله وتسويل شيطانه بان
قال للتهليل معنى ولاثبات الرسالة معنى واذا
اختلفت المعاني على الباطن ضعف التاثير و
بعدت الثمرة قال وانما يحتاج الى وصل الذكرين عند
الدخول في الاسلام قال بعض الراسخين في العلم
رضي الله عنهم فهذه المقالة والعياذ بالله من
الفتن التي لا مورد لها غير النار ولا عقبى لها سوى
دار البوار وما ذلك الا مكر واستدراج الى رفض
الشريعة والانحلال من ربقتها وتعطيل رسومها
ولو علم هذا الضال ما تحت قولك محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الاسرار التوحيدية والحكم
التهليلية لا نقشع عنه ذلك العمى فاصاب المرمى
انتهى اللهم اعذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن
بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
صلاة وسلاما نتصل بهما مع الاحبة بفضل الله تعالى
الى الفردوس الاعلى والتمتع هناك في جوار تعالى
بنفيس تلك المواهب والمنن امين الفصل الرابع
من الفصول الاربعة في الفوائد التي تحصل
لذاكر هذه الكلمة على الوجه الاكمل اعلم ان المواظبة
على ذكر الكلمة المشرفة على الوجه الذي ذكرناه تحصل

بعض

٦٢

فوائد كثيرة منها ما يرجع الى محاسن الاخلاق
الدينية ومنها ما يرجع الى الكرامات التي هي خوارق
اما الاول فمنها التصافي بالزهد ونعني به خلو الباطن
من الميل الى فاني وفراغ القلب من الثقة بزايل وان
كانت اليد معمورة بمتاع حلال فعلى سبيل العارية
المحضة وتصرف فيه بالاذن الشرعي تصرف الوكالة
الخاصة بنتظر العزل عن ذلك التصرف بالموت
او غيره مع كل نفس وذلك ينفي عن النفس التعلق
بما لا بد من زواله ومنها التوكل وهو ثقة القلب
بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الاضطراب عند
تعذر الاسباب ثقة بمسبب الاسباب ولا يقدح
في توكله تلبس ظاهره بالاسباب اذا كان قلبه
فارغا منها بحيث يستوي عنده وجودها وعدمها
ومنها الحياء بتعظيم الله عز وجل بدوام ذكره والتزام
امتثال امره ونهيه والامساك عن الشكوى به
الى العجزة والفقرا غيره ومنها الغنى وهو غنى القلب
بسلامته من فتن الاسباب فلا يعترض على
الاحكام بلو ولا بلعل لعلمه بمن صدرت منه جل
المتفرد بالخلق والتدبير الملك الوهاب ومنها
الفقر وهو نفض يد القلب من الدنيا حرصا
واكثار القطع بان حاجته ليست عنده شي منها

وسكوت

وسكوت اللسان عنها بالكلية مدحا وذما ومنها
الايثار على نفسه بما لا يذمه الشرع ومنها الفتوة وهي
التجافي عن مطالبة الخلق بالاحسان اليه ولو احسن
اليهم لعلمه بان احسانه واساتهم اليه كل ذلك مخلوق
لله تعالى والله خلقكم وما تعملون فلم ير لنفسه
احسانا حتى يطلب عليه جزا ولم ير لهم اساءة حتى يذمهم
عليها اللهم الا ان يكون الشرع هو الذي امر بذمهم
او معاقبتهم فيفعل حينئذ ما امر به الشرع ليقوم بوظيفة
التعبد فقط وهذه الفتوة هي فوق المسالمة ومنها
الشكر وهو افراد القلب بالثنا على الله ورؤيته
النعم في طي النقم والفوائد كثيرة ومن ارادها فليجتهد
في اسبابها فسيعرفها بالذوق واما النوع الثاني
من الفوائد وهو ما يرجع الى الكرامات فمنها وضع
البركة في الطعام ونحوه حتى يكثر القليل ويكفي
اليسير وهذا مشاهد لاولياء الله تعالى كثيرا ومنها
تيسير دنانير او دراهم او كلاهما او غير ذلك مما
تدعو اليه الحاجة وقد كان بعض المشايخ في اول
امره حراثا فتعذر عليه شغل الحراثة تعذرا
شرعيا فكان اذا قضى وظيفة ذكره يرفع راسه
فيجد في حجره درهما يشتري به قوت ذلك اليوم
ونقل عن الشيخ ابي عبد الله التادلي انه احتاج

اليهم صح

لمسوق الاولاده وزوجته وكان كثير الاولاد
فاشتري شقة وذهب بها الي الخياط فاعطاه
طرفها الواحد وامسك تحته الطرف الاخر فجعل الخياط
يجذبها ويفصل منها شيئاً بعد شيء حتي صنع اثواباً
عدة تشهد العادة بان ذلك لا يكون من شقة
فطال ذلك علي الخياط فقال له يا سيدي هذه شقة
ما تتم ابداً فقال له الشيخ خوف الفتنة قد تمت
ورمي له بباقيها من تحته وكان بعض المشايخ
لا ينتصب لذكر ولا لصلاة علي سجادة في خلوة
الا ويخلق الله علي سجادته او تحتها دراهم جدداً
وكان له عايلة واولاد فكان معشر اولاده
اذا راوه ياخذ بالتوجه للصلاة او للذكر يحدقون
به ويترقبون انفصاله فاذا فصل التقطوا تلك
الدراهم فمنهم للقل ومنهم المكثر وداموا علي ذلك
حتي تحدثوا به وشاع الحديث فانقطع ذلك ومنها
من يكشف له عن حقيقة ما يريد استعماله من الطعام
فيعرف حلاله من حرامه من متشابهه بامارة يجدها
اما من باطنه او من ظاهره او من غير ذلك وكرامة هذا
الباب لا تحصي الا ان المومن لا ينبغي ان يقصد بها
شيء من طاعته والا دخل عليه الشرك الخفي ومكر به
والعياذ بالله اذ هذه من جملة ما يجب ان يصفي منها قلبه

عند ذكر كلمة التوحيد فليقطع التفاته اليها بالكلية
وليكن مقصوده رضي مولاه الذي لا خلف له منه
ولا غنا للمخلوق عنه وكشف الحجاب عن عين قلبه حتي
يتنزه في ذلك الجلال العديم المثال ويواجهه مولاه
بعجايب واسرار لا يمكن ان يعبر عنها المقال اللهم
افتح لنا في ذلك وزدنا من فضلك دينا واخرية
يا ارحم الراحمين بجاه سيد الاولين والاخرين نبينا
ومولانا محمد صلي الله عليه وسلم وعلي اخوانه من
النبيين والمرسلين وعلي جميع الملايكة المقربين والي فضل
هذه الكلمة وما يحصل لذاكرها من الفوايد اشرت بقولي
في اصل العقيدة يري لها من الاسرار والعجايب ان
شاء الله تعالي ما لا يدخل تحت حصر وهذا الفصل
الرابع هو اخر الفصول السبعة المتعلقة بكلمة التوحيد
جعلتها سبعة فصول تفاولاً ورجاءً من المولي الكريم
جل وعلا ان يجعلها لنا ولاحبتنا حصناً حصيناً وحجاباً
منيعاً من التعذيب بشيء من دركات النار السبع كما
اناختمنا العقيدة وشرحها بتحقيق معني كلمتي الشهادة
نرجو من مولانا جل وعلا ان يختم لنا ولجميع احبتنا واخواننا
في الدنيا بافضل من درجات الايمان ويحشرنا
ويجملهم الي المقربين اهل النعيم المقيم
والروح والريحان ولنختم هذا الشرح المبارك فنقول الحمد لله

الكريم الوهاب المعطي النعم الجليلة لمن شا بمحض فضله
لا لسبب من الاسباب الفتاح بصاير القلوب بجوده
حتى خرقت بنورها حجب الكاينات كلها وظفرت
بلبتها الارباب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم معدن الكمالات والوسيلة
العظمى دينا واخرى لنيل المنى والحاجات وينبوع الفضايل
واساس جميع الخيرات المشرف على كل مخلوق لله
تعالى في الارض والسموات ورضي الله تعالى عن اله
واصحابه الذين هم بعد غيبته ولحوقه بالرفيق الاعلى
الانجم الزاهرات والذين هم القدوة للخلايق بعده
وهم خير الامة الايمة الهداة وعن التابعين ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين وبعث الله تعالى الرفات الممات للرفات
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين ربنا ظلمنا انفسنا ظلما كثيرا ولا يغفر
الذنوب الا انت فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا
انك انت الغفور الرحيم ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
اللهم يا غياث المستغيثين وملجا ذوي اللهفات الملهوفين
اسالك يا ارحم الراحمين ياذا الجلال والاكرام ان تجعلنا
في الدنيا والاخرة من خيار اهل معرفتك وان
تمتعنا الى الموت مع الاحبة في جنة الفردوس بجلايل نعمك

وجميل

وجميل رؤيتك وان تغفر لنا جميع ذنوبنا بلا عقوبة
ولا محنة وان تودي عنا جميع تبعاتنا بمحض فضلك
بلا خزي دنيا واخرى ياذا الفضل والمنة اللهم لك الحمد
واليك نشتكي من انفسنا ومن عوايق قد عسر بعها
في هذه الازمنة الصعبة النجاة فامنا يا مولانا من
ضررها في ديننا ودنيانا حالا وما لا حتى نفوز باعظم رضوانك
في الحياة وبعد الممات اللهم يا ارحم الراحمين انه قد اسرتنا
الاوهام والهوى وضعفت عن النهوض الى التمتع
بمنيع جنابك العلي همتنا القوى وقد استشعلنا وبات
القلوب واضعفها واعمى اعينها توالي ظلمة المعاصي عليها
وتراكم ران الذنوب فقلوبنا تبكي وان ضحك منا
اللسان ونريد النهوض الى نيل الكمالات سوقا اليه
فيمنعها الاسر والعمى ولا تساعدها عليه القوى ولا
النفس ولا الاركان فصرنا يا مولاي مطروحين في ضيق
سجن الافات مكبلين فيه بثقال قيود الشهوات
فياذا الفضل العظيم الذي لا يحد ولا يعلل ولا يكال
بمكيال ولا ميزان ويا ذا الكرم العميم الذي فاض على
العوالم كلها حتى طمع فيه القريب ومن هو في غاية البعد
والخسران وقد امرتنا ياذا الجلال والاكرام على لسان
نبيك ورسولك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
بفكاك العاني وانقاذه من الاسر الذي ضرره يسير

٦٦

وعرضٌ فانٍ فنحن يا مولانا العالمون حقيقة الخلـ
بفوته الانقطاع عمايدوم ولاعوض لم من الفوز
منك بجميل الرضوان فمن علي قلوبنا ودوا تنا الماسو
والمحبوسه عن التمتع بلذيذ حضرة جلالك التي لايملك
الصبر عنها ما به استرتنا يا كريم يا وهاب يا ارحم الراحمين
يا من ليس معه في تدبير ملكه ثاني اللهم اغفر لنا ولآ
بائنا وامهاتنا ولاشياخنا والاخواتنا واحبتنا ذريتنا ٩٩
وكان الفراغ من كتابته نهار الجمعة في واحد عشر من
شهر محرم الحرام ١٠٩٦ سنة الف ومايه وستة وتسعين
علي افقر العباد واحوجهم الي رحمة ربه الكريم الجواد الفقير
المذنب الضعيف محمد الدرويش غفر الله له ولوالديه ولمن قراه
فيه ولمن راء فيه عيبا اوغلطا اونسيانا واصلحه
والي جميع المسلمين والمسلمات الاحياء
منهم والاموات ورضي الله عن
اصحاب رسول الله اجمعين
امين امين
امين

نبي الهدي ضاقت بي الحال في الورى
واني بما املت فيك جدير
فاسئل خالق تفرج كربتي
فانه علي كشفه دون الانام قدير

تم

٩٩
وازواجنا واجمع شملنا وشملهم بالجنة مع اكابر
اوليائك في اعلا عليين ومتع جميعنا اثر الموت في اعلا
الفردوس بلذيذ رؤيتك ومرافقة من انعمت عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم
انفع بهذا الشرح كل من اعتنى به من اهل الخير والايمان
ومن اللهم علي كل من حفظ العقيدة اصلا بحسن الخاتمة
والفوز بعموم الغفران اللهم اجعل حفظها لهم نورا عظيما
في الدنيا والاخرة واعطهم بسببها بالجنة من الفردوس
الاعلي المنازل الفاخرة واحفظنا واياهم الي الممات من
جميع الفتن واجعل بيننا وبين الظالمين حجابا مستورا
في ديننا ودنيانا يا عظيم المواهب والمنن نتوسل اليك
يا مولانا في هذه المطالب كلها بذاتك العلية ثم بنبيك
ورسولك ذي النفس الزكية الشفيع المشفع عندك سيد
الاولين والاخرين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلي اله عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
واخر دعائنا ان الحمد لله رب العالمين كمل الشرح المبارك
بفضل الله وحسن عونه وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم امين ح